دراسات فى الأدب الشعرى

دكتور
سليمان محمد سليمان
أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب – جامعة سوهاج
والأستاذ بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية
كلية العلوم الإنسانية

الطبعة الأولى
2016م

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس 5404480- الاسكندرية

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم اللّه الرحمن الرحيم

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

الصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد:

الأدب الشعبى فن إنسانى عبر بالكلمة عن الوجدان الجمعى لشعب ما، وهو يحمل تجارب إنسانية فى أشكال من التعبيرات الفنية؛ كالمثل والحكاية والسيرة والأغنية والشعر والزجل والموال، مجهولة الصنع، أو معروفة المبدع. ورواج هذه الأشكال تختلف درجته من بيئة لأخرى، ومن فئة لأخرى.

وقد يجد الإنسان محدود الثقافة هويته أو ذاته فيما يسمع أو يقرأ من الأدب الشعبى؛ لأنه تصوير لمعاناته ولآلامه وأماله. كل شكل تعبيرى تتعدد أنواعه؛ فالأغنية تتعدد حسب مناسباتها، وحسب المهتمين بها، فهناك أغانى الأفراح وأغانى الأحزان، هناك أغانى العمال والفلاحين، وأغانى الحرب والسلام، وكذا الأمثال والحكم والنكات والنوادر والسير والحكايات والمواويل، فتعدد رموز أبطال السير الشعبية والملاحم ومحاورها، وتنال اهتمام العامة والخاصة، حيث تجاوز القيم الشعبية المحلية إلى القيم العامة وإلى العالمية؛ ليصبح هؤلاء رموز للقيم الإنسانية.

ودراسة التراث الشعبى من أهم الدراسات الإنسانية التى تكشف عن حرية الشعوب الإنسانية وحياتها عبر الأزمنة المتعاقبة، هذا التراث تعبير صادق عن الثقافة السائدة لشعب ما، حيث تتمحور هذه الثقافة فى أشكال فنية متعددة كالرسم والنحت والتصوير والموسيقى، وتأتى كلمة

أو عبارة (فولكلور) محوراً مهماً لهذا التراث، والشعوب قد تسجل هذا على جدران المعابد كما نرى عند الفراعنة أو عند غيرهم من الفرس أو اليونان، وقد تسجله فى مخطوطات أو فى عمولات ذهبية أو فضية أو نحاسية، أو تسجله فى تماثيل، أو نصب تذكارية، مدركة قيمة كل هذا وأهميته فى حفظ أمجادها ومواقفها المهمة فى تاريخها العريق، وكلها وثائق مهمة فى الدراسات الإنسانية.

لقد كان محور الأدب من أهم محاور هذا التراث إذ كان مرآة للحياة تتضح على صفحتها عادات القوم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وتفكيرهم، وكان سجلاً مهماً لانتصاراتهم وتعبيراً عن أفراحهم وأحزانهم وسمرهم ومغامراتهم ومناقراتهم.

وجاء هذا الأدب فى هيئة أساطير وحكايات ونوادر وأمثال وحكم وسير وأغان، وكلها تعبير عن الوجدان والمشاعر والعواطف ونظم التفكير تجاه تجارب ومواقف، كما أنها تعبر عن عقائد دينية انمحت أو مازالت باقية وممتدة من مراحلها الأولى، أو تغيرت وتطورت إلى عقائد أخرى تبعاً لتطور المجتمعات الإنسانية.

وأهمية هذا الأدب أنه تمثيل للخاصة من الجماعات البشرية والصفوة منهم حكاماً وقواداً وفلاسفة وعلماء، كما أنه تمثيل للعامة من البشر، كالجماعات البدائية والرعاة والعمال والفلاحين، هو أدب المدن والحواضر الكبرى وأدب القرى والنجوع والكفور، هو أدب الحاضرة والبداوة، هو أدب التجار والحرفيين وغيرهم من الجماعات البشرية البدوية والحضرية.

وقد تناولت فى تلك الصفحات بعض أفكار الأدب الشعبى وعناصره ومظاهره.....الخ كفن من فنون أدبنا العربى، لما له من أهمية فى حياتنا وفى تصوير وبيان الكثير من مظاهر الحياة التى نعيشها ونحياها فى واقعنا.

ومن ثم كان تناولنا لنشأة الأدب الشعبى وتطوره وأهميته وفوائده، والفرق بين الأدب الشعبى والأدب الرسمى، والمقصود بالأدب الشعبى فى أدبنا العامى.

وكذلك تناولت بعض فنون الأدب الشعبى وموضوعاته كالأمثال والألغاز والنكت والموال والقصص والحكايات الشعبية والتقاليد والمعتقدات الشعبية والعادات التى تسود فى مجتمعنا وتلعب دوراً كبيراً ومهماً فى حياتنا.

ونسأل الله أن ينفع بعملنا هذا طلاب العلم والقائمين عليه.

والله ولى التوفيق

أ.د/ سليمان محمد سليمان

obeikandl.com

obeikandl.com

نشأة الأدب الشعبى وتطوره

ارتبطت المعطيات الشعبية بوجود الإنسان فى تعبيراته عن تجاربه فى الحياة فى مناسبات مختلفة ومنها أفراحه أو أحزانه، ومنها أعماله فى البحث عن الوسائل التى تحميه وتحفظ له بناءه كوسائل الأكل أو الشرب أو النوم أو الدفاع عن نفسه ضد ما يهددها من أخطار الحيوانات أو الكوارث الطبيعية كالفيضانات أو الزلازل. ولما بدأ الإنسان يتطور بدأ يفكر فى مغيبات ويصنع أخيلة لعوالم غير موجودة على أرض الواقع، ويعبر عن هذه الأخيلة فى رسوم وتشكيلات كالتى نشاهدها على جدران المعابد والمغارات عند الأمم التى لها عراقة تمتد إلى آلاف السنين.

وهناك من هذه الرسوم ما يصور الحياة الواقعية فى الزراعة أو الصناعة، فى السلم أو فى الحرب، ومنها ما يرد فى صورة حكم أو أمثال كالتى وردت فى التراث الفرعونى مسطرة فى أوراق البردى وعلى جدران المعابد، وعلى الأحجار، لقد عرف هؤلاء أيضاً الحكاية، وعرفها اليونان القدماء وعرفها الفرس، وعرفها الهنود مصاغة على ألسنة الآلهة والكهنة، ومصاغة على ألسنة الحيوانات والطيور والحشرات، كما صيغت أيضاً على ألسنة الحكام والقواد والكهنة.

لقد اتخذت الشعوب القديمة أشكال التراث وفنونه وسيلة للتربية والتعليم، ووسيلة للتعبير عن الخاطر التى تهددهم أو سوف تهددهم، واتخذوها أيضاً وسيلة لتفسير الظواهر الطبيعية كالمطر والأعاصير والفيضانات والغروب والشروق للشمس وللقمر وللكواكب

الأخرى.

كانت لهذه الشعوب تفسيرات لفنون الشعر والنحت والتصوير وللجمال وفنونه بصفة عامة، فهناك إله للشعر وإله للنحت وإله للجمال وكلها لها صلات بالحياة الآخرة ثواباً وعقاباً.

وللفراعنة حكم ونصائح ووصايا نسبت إلى الحكام والوزراء والكهنة، ومن هؤلاء بتاح حت الوزير الذى عاش فى زمن الأسرة الخامسة (2670ق.م) فى مصر العليا، ونسب إليه وصيته لابنه قائلاً: "لاتغتر بما حصلت عليه من العلم فتتكبر ولا تتجبر، ولكن اجعل الأمر شورى مع الجميع، شاور الرجل غير المتعلم كالمتعلم، لأنه ليس هناك حد للمعرفة.. إذا وجدت رجلاً يتكلم وكان أكبر منك وأشد حكمة فأصغ إليه، وأحن ظهرك أمامه... إذا وجدت رجلاً يتكلم وكان فقيراً، أو ليس مساوياً لك فلا تحتقره لأنه أقل منك..، إذا كنت فى صحبة جماعة من الناس وكنت عليهم رئيساً ولشئونهم متولياً تعاملهم معاملة حسنة حتى لا تلام... إن العدل عظيم..."[1]، هذه الوصايا شريحة من المعاملات الرائدة، وقيمة خلقية مهمة تمثل الحرص الشديد على تحقيق الوفاق بين فئات المجتمع.

ومن المأثورات الشعبية ما نسب إلى "كاجمنى" الذى كان وزيراً فى عهد الأسرة الثالثة، وكان حكيماً له خبراته وتجاربه وصاغها فى تعاليم من الحكمة والأمثال للتربية والتهذيب فى شئون الحياة المختلفة

---

[1] راجع الحكم والأمثال عند المصريين القدماء، محرم كمال، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص 31: 32.

كقوله: السكين تشحذ لمن يحيد عن الطريق المستقيم/ إن قدحاً من الماء يروى الظمأ/ تعس هو الجل الشره من أجل جسده/ المتواضع الحذر يحالفه النجاح[1].

ومنها ما نصح به "مرى كارع" أحد ملوك "أبيدوس": "خلد ذكراك عن طريق حب الناس لك/ كم هو جميل أن يعمل المرء من أجل المستقبل/ الرجل الذى يقول: "ليت لى" لا يكون محايداً، بل ينحاز إلى الشخص الذى يعطيه رشوة/ الحاكم القوى من كانت له حاشية عادلة/ لا ترفع من شأن ابن الرجل العظيم على ابن الرجل الوضيع".[2] والحكم ترتبط كلياً بوجدان الإنسان العادى ومشكلاته الاجتماعية وتوجه السلوك إلى الطريق السوى المستقيم.

ومن الهند وصلت إلينا أعمال تراثية مهمة فى مقدمتها هذا العمل الرائد الذى يستنطق الحيوان ويشخصه هو عمل الفيلسوف "بيديا" والمسمى "بكليلة ودمنة" والذى ترجمه إلى العربية"عبدالله بن المقفع" ثم ترجم إلى لغات العالم، وفى هذا العمل تجلت الموهبة الرائعة لهذا الفيلسوف الهندى، حيث تتعدد فيه محاور الفائدة الأدبية للأطفال وللشيوخ.

لقد اهتم الجاحظ بتسجيل النوادر والحكايات بلهجات عامة الناس، وأشار إلى أن تغيير صياغتها بلغة فصحى يفقدها قيمتها الفنية وغرضها، وقد اعتنى الكثير من العلماء بالحدث فى ثنايا مؤلفاتهم عن

(1) راجع الحكم والأمثال عند المصريين القدماء، محرم كمال، ص 50.
(2) الحكم والأمثال عند المصريين القدماء، المرجع السابق، ص 74.

بعض فنون الأدب الشعبى فى مختلف العصور.

فنجد الجاحظ قد اهتم بتسجيل النوادر والحكايات بلهجات عامة الناس، وأشار إلى أن تغيير صياغتها بلغة الفصحى يفقدها قيمتها الفنية وغرضها المقصود... بالنكت أو النادرة أو الحكاية لا تتغير صياغتها وورودها على هذه الكيفية يحفظ لها طرفتها.

واهتم أيضاً "ابن خلدون" بالمأثورات الشعبية التى كان يسجلها فى رحلاته بين الغرب والشرق، وحين كان يخالط شعوب الأقاليم ويتعرف على عاداتهم وتقاليدهم وسبل التفكير والتعبير مما جعله الرائد الأول فى علم الاجتماع، ووجدنا ذلك أيضاً عند ابن المقفع والزمخشرى وابن قتيبة وغيرهم فى جوانب متعددة من مؤلفاتهم ككليلة ودمنة والمستقصى فى أمثال العرب وعيون الأخبار والمعارف، وغيرها.

وقد كان الكثير من الكتب العربية يدور حول بطولات عربية شعبية كسيرة عنترة العبسى وأبى زيد الهلالى، وقصص الحياة البغدادية التى يضمها مجموع الكتاب الرائع وألف ليلة وليلة، وكذلك كتاب "أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس" لمؤلفه محمد دياب الأقليدى.. والكتاب طُبع فى مصر سنة 1278هـ ويحوى مجموعة من المعلومات الشعبية قل أن يجدها الباحث فى مصدر أو مرجع آخر، والمؤلف – كما يبدو من أسلوبه الشعبى ولغته البسيطة، يتصيد اللطيفة والنكتة والأحدوثة، والطرافة والبيت الشعرى الذى لا يعرف قائله أو راويه، والعصر الذى وضع فيه هذا الأثر الشعبى.

ثم نهض المستشرقون فى العناية بالتراث الشعبى العربى فى كل

الأقطار العربية، حيث جمعوا فنونه المختلفة وعكفوا على دراستها للوصول إلى النتائج التى تفيدهم فى الدراسات الاجتماعية والسياسية والأدبية، لقد درسوا "ألف ليلة وليلة" و"الزير سالم" و"أبو زيد الهلالى" و"سيرة عنترة"، ودرسوا الأمثال والحكايات، ودرس العلماء الأجانب الأدب الشعبى وجمعوه ومن أشهر هؤلاء جاستون ماسبيرو عالم الآثار الفرنسى، حيث جمع الأغانى الشعبية فى صعيد مصر فى الفترة ما بين 1900 – 1914م وهى أغانى تشمل مناسبات الزواج والختان والحج وأغانى العمل والعمال والعديد والمراثى.

وبظهور العامية والدعوة إليها كثر نشاط المستشرقين والأجانب حول الأدب الشعبى فى مختلف الفنون[1] بغرض محاربة الفصحى، وإيجاد بدائل لها فى العاميات المختلفة، والتى حاول بعض الكتاب التدوين لها وإصدار المجلات التى تكتب مقالاتها بالعامية وتكوين فرق التمثيل باللهجات المحلية والسوقية.

لقد أنشأت الكليات المتخصصة فى دراسة اللغة والأدب فروعاً خاصة بدراسة الأدب الشعبى، وأفسحت المجال فيه للتأليف وإعداد الدوريات والمؤتمرات وفرق العمل للجمع والتدوين. وبرز فى الوطن العربى وفى مصر أعلام ورواد متخصصون فى دراسة الأدب الشعبى وتدريسه منهم الدكتور عبد الحميد يونس الرائد الأول لهذا الأدب، حيث أرسى قواعده وحدد محاوره وكشف عن فنونه ومصادرها ومنهم أحمد رشدى صالح

[1] راجع فنون الأدب الشعبى، أحمد رشدى صالح، ص 28 وما بعدها، مكتبة الأسرة.

والدكتور أحمد مرسى والدكتورة نبيلة إبراهيم، وغيرهم من العلماء الذين خصصوا جانباً من جهدهم العلمى لهذا الفن من فنون الأدب.

أهمية الأدب الشعبى وفوائده:

إنشاء الأدب الشعبى ووظائفه لا يقل أهمية عن الأدب الرسمى، فهو أدب متعة وفائدة للسواد الأعظم من البشر، وهو يمثل القيم الخلقية والاجتماعية والمثل العليا، وهو يتعامل مع العاطفة والوجدان والعقل لفئة من البشر على درجة عالية من الثقافة. فالإنسان العادى قد يجد ذاته فى هذا الأدب، لذا فهو يتعايش فيه ويركن إليه؛ بل يريد نماذج منه فى حاله وفى ترحاله فى مناسبات مختلفة.

وأيضاً الإنسان الذى وصل إلى درجة عالية من الثقافة قد يغير من هذا الأدب، لأن هذا الإنسان قد يكون ابناً للفلاح أو التاجر أو الصانع، فهو يبحث عن جذوره فى هذا الأدب، وقد يعود إليه ما بين آونة وأخرى لأنه يجد فيه الحلول الناجحة لكثير من مشاكله مع الآخرين فى أوقات السلم أو الحرب، أو فى بناء علاقات اجتماعية تساعده على تقدمه وعلى استقرار حياته.

وتأتى العناية بالأدب الشعبى استجابة لدافع قومى يحقق الذاتية فى إبراز صور التاريخ وأمجاده التى أقامت الأسس الحضارية لشعب ما، إذ كل الأمم تعمل – وكأنها فى سباق – على أن تزهو على الآخرين بما لها من أمجاد قديمة. وبظهور القوميات لدى شعوب العالم كثرت العناية بالأدب الشعبى وبالمأثورات الشعبية عامة، فالعناية بذلك تعد رصيداً مادياً وأدبياً بل مورداً أساسياً من الموارد الاقتصادية والثقافية.

فالعناية بالأدب الشعبى محور مهم من محاور الاهتمام الشعبى الذى ينم عن المساواة بين الصفوة وبين العامة، إنه رعاية للفرد وللشعب واهتمام بنتائجه لرفع شأنه، إنه تعبير عن المشاركة الجماعية فى شئون الحياة يصنعها الإنسان العادى الذى قد لا يحمل عراقة فى الحكم أو ثروة مادية كبرى أو إقطاعاً، إنه اهتمام بالجماعة أصحاب المهن والحرف اليدوية وما قد يصدر عنهم من أقوال يحفزهم إلى العمل ويصرف عليهم الملل والضيق ويخفف عنهم الآلام ويغرس لديهم الآمال العظيمة وحب الحياة.

ومن الأدب الشعبى يمكن كشف خفايا المجتمع وما يدور فى مخيلاته وموقفه من الأزمات والكوارث، بل موقفه السياسى من حكوماته، كما قد يحدث من نكات وتندر عند حدث ما أو موقف ما، ولذا فإن الدراسات العلمية للأدب الشعبى قد تكشف ما ليس فى مقدور الدراسات الأخرى للأدب الرسمى، إذ إن اللسان الصادق يتضح من مقومات الإنسان العادى الذى لا يعرف المداهنة أو النفاق أو الرياء، فقد شارك الأدب الشعبى فى دراسات علمية مستحدثة فى علوم اللغة والأدب وفى التاريخ وفى الأساطير وفى إقامة المعارض والندوات وفى دراسات علم الاجتماع وعلم النفس وفى الموازنات والمقارنات بين علوم الإنسان، والأدب الشعبى أصبح علماً مهماً لكشف الجوانب الروحية والاجتماعية لدى الشعوب المختلفة، وفى كشف المعتقدات ودوافع السلوك.

لقد كان الأدب الشعبى سلاحاً قوياً من أسلحة المقاومة الشعبية ضد المستبد الأجنبى، وساعد فى خلق الثورات ضد الطغاة المستبدين،

بل ساعد فى تشكيل حركات جديدة للمقاومة وللتقدم وللبناء.

هذا الأدب يهدف إلى تمجيد ذكرى الأبطال واستعادة قراءة تاريخهم وأعمالهم، التى تعد ذخيرة مهمة فى تقديم القدوة للناشئة، ولتكون شعلة تضئ لهم سبل الحياة لصنع شخصيات مماثلة، فدراسة سيرة عنترة نموذج بشرى لمقاومة القهر والفن، ونموذج للشجاعة وللنجدة، ومثل هذا دراسة السيرة الهلالية والزير سالم وغيرها.

ودراسة الأدب الشعبى تهدف إلى توسيع المعارف والأخيلة وتقديم التجارب فى صورة رامزة وحكيمة، كما نرى فى القصص التى تستنطق الحيوانات فى "كليلة ودمنة" وهو أيضاً يهدف إلى ربط ثقافة الطفل بتجارب الآخرين من ذوى الخبرات والتجارب، هو نموذج جيد لأدب الطفل وتحليل هذا الأدب بطريقة مثيرة ومحببة ومسلية.

علماء السياسة والاجتماع قد يقيسون ردود أفعال الشعوب تجاه الأزمات والمواقف الكبرى من خلال دراساتهم لأقوال هذه الشعوب من نكات ونوادر تعليقاً أو نقداً، أو رفضاً أو تأييداً مقترنة بظهور هذه الأزمات، أو قد يستعيدون أقوالاً قديمة تتفق مضامينها مع موارد هذه الأقوال كالأمثال والحكم.

❖❖❖

الفرق بين الأدب الشعبى والأدب الرسمى

لا يعنى مفهوم الأدب الشعبى أنه "الأدب الذى صيغ بلغات عامية، أو بلغات لا ترتبط بمعايير الفصحى، بل إنه قد يصاغ بلغة الفصحى، تعبيراً عن وجدان شعبى يظل محفوظاً فى الذاكرة وعلى ألسنة العوام

يتردد فى المحافل الشعبية فى المواسم والأعياد، فى الغناء وفى التمثيل وفى المواقف المشابهة، لكن الأدب الرسمى له معاييره الخاصة والتى من أهمها أنه أدب يقوم على أساس التقسيم إلى شعر بأغراضه وفنونه، وإلى نثر فنى، والشعر له أسسه الموسيقية والتصويرية، والنثر له أيضاً أسسه الجمالية.

أما الأدب الشعبى فقد يرتبط فى بعض فنونه بالإيقاع أو السجع، وقد تصاحبه نبرات متماسكة فى الأداء الذى قد يرتبط برقصات أو حركات فردية أو جمعية عفوية أو مقصودة مرتبة، ومن هذا الأدب ما يرتبط عند الأداء بآلات فنية كالموسيقى أو الطيران أو الرقصات أو المزمار، والأدب الشعبى قد يصاحبه الارتجال والعفوية وقد تصاحبه المعاناة والصنعة.

لا يعن هذا أن العلاقة بين الأدب الرسمى والأدب الشعبى مفقودة، وإنما العلاقة قوية والمؤثرات المتبادلة موجودة، فتأثير كل منهم فى الآخر واضح، والتناجى الشعبى قد يمثل ركناً مهماً فى بنية الأدب الرسمى، بل التراث عموماً. ربما كان الأدب الشعبى أكثر عراقة من الأدب الرسمى لأنه – أى الأدب الشعبى – يمثل المراحل الأولى من حياة الجماعات البشرية، ولأنه يمثل التفكير البدنى العفوى قبل أن يحكم هذا التفكير مقومات مدنية علمية، هو يمثل البشرية فى طفولتها المرحلية، إنه يحكى ثقافة بدائية قبل أن تعرف الثقافة المتحضرة أو المتطورة التى وجد على أثرها الأدب الرسمى، ثم تحاوراً وساراً جنباً إلى جنب حيث وجدت أشكال فنية من الأدب الشعبى.

فى بعض نماذج الأدب الشعبى قد نحيل أصحاب هذه النماذج لا سيما الحكم وبعض الأمثال الشعبية، لكنها فى الأدب الرسمى قلما نجهل هذا، حيث العناية بأصحابها رواية أو تسجيلاً.

الأدب الشعبى – كما أشرنا- يمثل التفكير الشعبى والوجدان الجمعى سواء أورد بالعامية أم بالفصحى، فقد نجد أمثالاً وحكماً بالفصحى، وهى شطر من الأدب الشعبى، وقد نجد لأحمد شوقى أمير الشعراء قصائد كقصيدة "الليل" وقصيدة "مصر تتحدث عن نفسها" وقصائد أخرى من الأدب الشعبى.

وهناك قصائد لأحمد رامى وبيرم التونسى ومحمود حسن إسماعيل، ونجد قصائد فى مآسى الشعب الفلسطينى وكلها من الأدب الشعبى، أى أن الفصحى ليست حكراً على الأدب الرسمى، بل إن الأدب الشعبى قد تأتى منه نماذج راقية لوجدان الإنسان بسبب صياغتها بلغة فصيحة.

والأدب الشعبى يختلف أيضاً عن الأدب العامى، إذ إن الأدب العامى يمثل دائرة مكانية محدودة الموقع ويستخدم لهجة محلية قد لا تفهم فى غير مكانها أو من غير ناطقيها، وهو يتناول تجربة محلية محدودة الزمان والمكان، قد تمثل لحظة.

والأدب العامى محدود الفائدة قليل الأثر، صعب التسجيل أو التدوين، فهو يعتمد على الرواية الشفهية التى لا تفهم إلا فى مولدها.

أما الأدب الشعبى فهو أدب الشعب بجميع طوائفه وبتفكيره الجمعى، يجد فيه الشعب صورته وتاريخه ماضيه وحاضره ومستقبله،

فهو أدب باق، دائم، الأدب الشعبى أحد فروع الفلولكلور – حكمة الشعب – الذى اكتشفه عالم الآثار الإنجليزى وليم جون تومز فى عام 1846م[1]، الذى يضم المأثورات الشعبية ومن بينها العقائد والعادات والأزياء والصور والتماثيل وكلها نتاج الإنسان عبر حياته الأولى وماضيه العريق. ولم تكن الملاحم اليونانية والفارسية سوى نماذج مهمة لإضاءة ظلام تلك الشعوب والتعريف بمظاهر الحياة والمعتقدات فيها.

❖❖❖

المقصود بالأدب الشعبى

إن تحديد الأدب الشعبى أمرٌ يختلف عليه النقاد ودارسو الأدب، ولكننا نجد تحديدات ثلاثة تهمنا.. فنقاد الأدب المتأثرون بآراء الفولكلوريين يرون أن الأدب الشعبى لأية أمة هو أدب عاميتها التقليدى، الشفاهى، مجهول المؤلف، المتوارث جيلاً عن جيل، ومؤدى هذا الرأى إلى إسقاط أدب العامية الحديث الذى أذاعته المطبعة ووسائل النشر الحديثة الأخرى من مسرح وإذاعة وسينما، لأنه لا يتوافر فيه ركنا تجهيل المؤلف والتوارث التقليدى.

وأما أصحاب الرأى الثانى، فيعتمدون وسيلة أداء التجربة الفنية (اللغة) ميزانياً للحد، وهم فى ذلك مثل أصحاب الرأى الأول، ولكنهم يذهبون إلى أوسع مما يذهب إليه السابقون، فيرون أن الأدب الشعبى هو أدب العامية، سواء كان شفاهياً أو مكتوباً أو مطبوعاً، وسواء كان

(1) راجع: فوزى العنتيل، بين الفولكلور والثقافة الشعبية، ص 38.

مجهول المؤلف أو معروفه، متوارثاً عن السلف السابق أو نشأه معاصرون معلومون لنا.

والرأى الثالث يعتمد على محتوى الأدب لا شكله أى موضوع التجربة الفنية فيه لا اللغة التى يستخدمها أصحابه، فهو عند أصحاب هذا الرأى ذلك الأدب المعبر عن ذاتية الشعب، المستهدف تقدمه الحضارى، الراسم لمصالحه، يستوى فيه أدب الفصحى وأدب العامية، وأدب الرواية الشفاهية، وأدب المطبعة، والأثر المجهول المؤلف، والأثر المعروف المؤلف.

وربما كان سبب الخلط هو فيما تعنيه كلمة "شعبي من معان، خاصة وأن استعمال هذه الكلمة فى اللغة العربية، للدلالة على المأثورات الفولكلورية، حديث العمر، لم يواكبه بعد ما يكفى من الدراسات، التى قد تحدد المعنى المقصود بهذه الكلمة.

وليست هذه الكلمة، مثار خلط فى العربية وحدها، بل هى مثار خلط مماثل، فى اللغات العالمية كذلك، وقد عمد بعض علماء الفلكلور إلى محاولة التمييز بين كلمة شعبى وكلمة فلكلورى عند حديثه عن الأغانى الشعبية والفلكلورية، وخلاصة رأيه أن الأغنية الفلكلورية تتصف بالعراقة والتوارث شفاهاً وبأنها كثيراً ما تكون مجهولة المؤلف إلى غير ذلك من شرائط. فى حين أن الأغنية الشعبية هى تلك التى تجرى فى الاستعمال العام وقد تكون صادرة من أصل أدبى مثقف نعرفه وقد تكون مذاعة بواسطة وسيلة نشر حديثة.

وإذا قدر للأغنية الشعبية أن تستقر ويطرد استعمالها لفترة

كافية من الزمن، فقد تصبح جزءاً من المأثور الفلكلورى للجماعة البشرية التى تستعملها.

وبنفس القياس يذهب البعض الآخر إلى تأكيد الأركان التى ألمحنا إليها فى المأثورات الفلكلورية، فيرى أنه لابد من "أن يكون استعمالها ماثلاً فى ذاكرة الإنسان أو أنه كان ماثلاً فيها" فالشرط الأول عنده أن يكون المأثور حياً وليس دارساً ميتاً.

والشرط الثانى أن يكون "إرثا يتلقاه جيل عن جيل، بواسطة الكلمة الشفاهية، أو المحاكاة"، وأما أنواع المادة الفلكلورية فهى الأسطورة والخرافة والحكاية والشعر، والأقوال السائرة والأمثال والألغاز والأقوال السحرية، والموسيقى والرقص، والعادات والممارسات والمعتقدات والمهارات الفنية. وعلى هذا، يكون الأدب الفلكلورى هو فن القول التلقائي العريق المتداول بالفعل، المتوارث جيلا بعد جيل، المرتبط بالعادات والتقاليد[1].

ويقول الدكتور أحمد رشدى صالح:

"وقد أخذت بهذا الرأى، فيما درست من نماذج فى هذا الكتاب، وصرفت همى إلى استقصاء النماذج الشفاهية الحية، غير أنى اعتبر وظيفة المأثور النفسية والاجتماعية، لا تقل أهمية عن قيمته الأدبية، بل لعلى أرى أن من خصائص المأثورات الفلكلورية أن لها وظيفة تؤديها سواء وهى تصاحب العمل، وتدور فى مداره، أو حين تستخدم فى

(1) لمزيد من التفصيل راجع: الأدب الشعبى لأحمد رشدى صالح، الهيئة العامة للكتاب، ص 19: 21.

أوقات الفراغ، وتدور فى مدارها، ذلك أن شكل الأدب ومحتواه كل لا يتجزأ".

وما نسميه فى هذه الدراسة بالأدب الشعبى، ينصرف إلى أدب العامة التقليدى، أو قل هو ما نسميه بالأدب الفلكلورى، فكلمة "شعبى" ترادف كلمة فولكلورى.

وقد حاولنا ترجمة المصطلح الإنجليزى الأصلى، وهو فلكلورى إلى شعبى، ولم نبتدع هذه المحاولة، فالذين درسوا المأثورات التقليدية وسبقونا فى مضمارها، حاولوا كذلك أن يترجموا كلمة فلكلور إلى كلمة من لغاتهم القومية – أو حاولوا أن يستخدموا فى مقابلها مصطلحاً جديداً مؤلفاً من كلمات من لغاتهم القومية، كذلك كان حال الذين صاغوا مصطلح "الفنون والمأثورات الشعبية" فى اللغات الفرنسية والإيطالية والألمانية والأسبانية وغيرها.

وهكذا عندما ننظر فى الآداب الشعبية التقليدية نجد أنها تتلاقى فى قسمات رئيسية وتمتاز بها على آداب الفصحيات وتلك هى: العراقة والواقعية والجماعية والتداخل أو التوظيف مع فروع المعارف والمعتقدات والممارسات الجارية فى حياة كل يوم.

وأما العراقة فنستطيع أن نقول عنها وبناء على دراسة تطور المجتمع البشرى والحضارة الإنسانية أنه قلما يستطاع أن يتفرغ البعض من ضرورات العمل والحياة، فينشئوا أدباً يخدم أغراض الخاصة ويشبع حاجاتهم الفنية باعتبارهم متميزين على الكافة، وقبلما يأخذ ذلك الأدب الخاص فى التميز على أدب الكافة كانت ثمة آداب عامة

للجماعات البشرية المتساوية على الفطرة، أو تلك التى لم يكن قد تأكد جانب الفراغ فيها، وكان ذلك الأدب يكفى حاجاتها الفنية والروحية وكان شعبياً دارجاً فى محتواه ولغته وطرائق تداوله وكان يتداخل مع السحر والدين والأخلاق والتشريع – ولنا – دون حرج أن نؤرخ لهذا الأدب الشعبى العام باستخدام الإنسان اللغة كوسيلة للتعبير عن خلجات النفس، وإيصال انفعالات الإنسان وخواطره وأفكاره إلى الآخرين فى شكل أصوات.. وتلك فترة أقدم بكثير من اختراع الكتابة.

وإذا كانت اللغة نتاجاً اجتماعياً، فمؤدى هذا عندنا أوسع بكثير من مجرد تقرير تلك النتيجة. مؤداه أن الأدب الشعبى نتاج اجتماعى كذلك، وأن تاريخها واحد[1].

فالأدب الشعبى هو الأدب الذى يصدره الشعب، فيعبر عن وجدانه ويمثل تفكيره، ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية.

ولكن مشكلة المضمون والشكل التى عانى منها كثيراً الأدب الرسمى، وما نعرفه بالأدب الفصيح، تدخلت فى هذا المفهوم، فعقدته، وقسمت النقاد والمؤرخين شيعاً، نظر بعضهم إلى شكل الأدب الشعبى، فعرفه بأنه الأدب المجهول المؤلف، العامى اللغة، المتوارث جيلاً بعد جيل بالرواية الشفوية.

ونظرت جماعة أخرى إلى المضمون فعرفته بأنه الأدب المعبر عن مشاعر الشعب، فى لغة عامية أو فصحى. واقتربت جماعة ثالثة من التعريف

(1) راجع: الأدب الشعبى لأحمد رشدى صالح، المرجع السابق، ص 21: 22.

الأول، ولكنها أخذت عليه أنه يطرد من مملكة الأدب الشعبى الأدب العامى الحديث، الذى نعرف قائله، ولم تتوارثه الأجيال بعد، وسجلته المطبعة أو الإذاعة أو المسرح أو السينما أو غيرها من وسائل النشر الحديث، ورأت أن الأدب الشعبى هو الأدب العامى، قديماً كان أو حديثاً، مسجلاً كان أو مروياً شفاها، مجهول القائل أو معروفه.

ولعل الناظر فى كل تعريف من التعريفات الثلاثة، يأخذ عليه نقصاً ما، فيأخذ بعض الدارسين على التعريف الأول إسقاطه الأدب العامى الذى تنشره وسائل النشر الحديثة من مطبعة ومسرح وإذاعة وسينما، والأدب العامى الذى ينشره المعرفون من أهل المدن، لأن هذه الآداب ليست مجهولة المؤلف، ولا توارثها الشعب جيلاً وراء جيل بعد.

وتعيب فئة أخرى التعريف الثانى لأنه يقوض الفواصل الواضحة بين الأدب الشعبى والأدب الخاص، ويجعل التمييز بينهما أمراً عسيراً، ويكل ذلك إلى القارئ والدارس والناقد، ولا شك أن هؤلاء مختلفون فى كثير من الأشعار التى ستواجههم، فيرى بعضهم أن مضمونها شعبى، وبعضهم أن مضمونها خاص، ويؤدى هذا إلى التنافر، وإلى التوقف فى بعض النماذج الأدبية، وإلى القول بصلاحية وضعها تحت الأدبين.

ويصم كثيرون التعريف الأخير بأنه يدخل أشياء كثيرة لا تمثل الشعب فى مجموعه، ولا تعبر عن وجدانه، ولا تلائم اتجاهاته الحضارية، لسبب واحد فقط: هو أنها ألفت بالعامية.

ويقولون إن العمل الأدبى الشعبى لا يستوى أثراً فنياً إلا بعدما يتفق مع ذوق الجماعة، ويجرى على عرفها من حيث المحتوى والشكل، ولا يتخذ

شكله النهائى قبل أن يصل إلى جمهوره، الذى يعطى نفسه حق التحوير والتغيير فيه ما دام يتوارثه ويعده معبراً عنه، ولذلك تتغير صورة العمل الأدبى الواحد فى الأماكن والأوقات المختلفة، ولا يثبت على صورة واحدة.

ونضرب الأمثلة بما نلاحظه فى أغانينا الحديثة، فكثير من مؤلفى هذه الأغانى شعراء خاصون، تثقفوا بالثقافة الشعرية الفصحى المأثورة، ومارسوها، ووصلوا إلى درجات عالية فيها، مثل أحمد شوقى، وإسماعيل صبرى، وأحمد رامى، وحسين السيد، وغيرهم- حتى – من الناشئين، فهؤلاء اكتسبوا ذوقاً فرضه عليهم الشعر الفصيح الخاص، يخالف فى بعض المناحى الذوق الشعبى، وهو مؤثر فيهم كل التأثير حين ينظمون شعرهم العامى. والأمر ليس مجرد أمر لغة يمكن طرحها أو خلعها من وقت وآخر أو استبدالها، بل إن هذه اللغة تفرض على مستعمليها آثاراً عدة، لا يمكن التخلص منها، ولو حاولوا استخدام لغة أخرى.

وقد يرتفع الشاعر المزدوج اللغة بشعره العامى، ويعمق فى بعض صوره، ويوغل فى بعض أفكاره، بحيث يخرج إلى المبالغة أو الإحالة، المعروفة فى الشعر الفصيح، والتى لا تعبر عن شعور صادق كالذى يعبر عنه الشاعر الشعبى[1].

ويقول أحمد شوقى:

توحشنـــى وأنت ويايا وأشتاق لك وعنيك فى عنيا!

(1) راجع: الشعر الشعبى العربى للدكتور/ حسين نصار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص18: 22.

ويقول أحمد رامى:

العمر فات فى أمل وخيال والقلب مات من كُتر ما مال

وفضلت بعد المـــــــلل عندى أمل فى الأمـــــــل

بعض هذه الأفكار والصور من الغموض أو التعمق بحيث يتعذر على الرجل الشعبى أن يصل إلى إدراكها، فيعجب بها، ويميل إليها، ويراها معبرة عنه. وبعضها يحمل من أوزار الشعر الفصيح مبالغة ممقوتة، وإحالة سخيفة، قد يرضى عنها من اكتسب ذوقه عن طريق قراءة الشعر الفصيح، ولكن الشعر الشعبى ما أظنه يرضى بها.

وقد حاول بعض الدارسين أن يتخلص من هذه المشكلة فرأى أن يقسم الأدب الشعبى إلى قسمين: أدب القرية، وأدب المدينة. وذهب إلى أن الأدب الأول هو الذى يصدره الفلاحون وتنطبق عليه جميع الشروط المطلوبة فى الأدب الشعبى، من جهل بالمؤلف، وعدم طبع أو تسجيل أو تثبيت للأشعار، وتوارث لها، مع اتفاق تام مع الذوق الجماعى.

أما الأدب الثانى، فيفقد بعض الشروط أو كثيراً منها ، ولكنه لا زال أدباً شعبياً. وربما أفاد ذلك.

ولكن هذه الفائدة وليدة الظروف التى تعيش فيها. فنحن نعيش على لغتين: اللغة العامة التى نستخدمها فى حياتنا اليومية، وتؤدى عنا أغراضنا، ونرى أنها تؤدى عنا أهدافنا الفنية فى أدبنا الشعبى، واللغة الفصحى التى تؤدى عنا أغراضنا فى حياتنا العلمية والدينية، وأهدافنا الفنية فى أدبنا الفصيح.

وربما كان من الطرق التى تيسر لنا النظر إلى المشكلة فى وضوح

ودون لبس أن نقسم الأدب الذى نصدره إلى قسمين: أدب فصيح، وأدب عامى. ثم نقسم هذا الأدب الأخير "الأدب العامى" إلى فرعين: أدب القرية، وأدب المدينة. فإذا أردنا أن نطلق عبارة الأدب الشعبى، فأجدر بنا أن نطلقها على أدب القرية، وإن كانت بعض ألوان أدب المدينة تتدرج تحتها، ولكننا لا نستطيع أن نطمئن اطمئناناً كاملاً إلى إطلاق هذه العبارة على أدب المدينة كله، كذلك لا نستطيع أن نطمئن إلى إطلاق أدب الوطنية على أدب المدينة، كما فعل بعض الدارسين، وإن حاول أن يحدد هذا الأدب، ويبين أسباب إيثاره لهذا التعبير، لأنه بالرغم من ذلك ما زال تعبيراً موهماً دافعاً إلى اللبس أو الخطأ.

كل هذا يجعلنى اعتقد أن الصورة الصافية التى قدمتها فى أول الكلام هى صورة الأدب الشعبى الحق، فهو الأدب الذى يعبر عن وجدان الشعب، ويمثل اتجاهاته ومستوياته الحضارية. ومن الطبيعى أننا فى أكثر الأحيان بل فى أغلبها لا نصل إلى هذا الأدب إلا بعد أن نتوارثه أجيالاً، فيترك فيه كل جيل أثره فالمعروف أن الأدب الشعبى لا يأخذ صورة نهائية محدودة، وإنما تضيف إليه الأجيال المتعاقبة، وتحذف منه، وتعيد ترتيب عناصره، وتجرى فيه بعض التعبيرات، لايلائم ذوقها ويعبر عنها. فاشتراط التوارث يكاد يكون ضرورياً. ولكن اشتراط الجهل بمبتكره الأول ليس بالضرورى، وإنما الضرورى أن تعمل فيه الأجيال المتعاقبة بما يلائم ذوقها، كذلك لا يتحتم اشتراط اللغة العامية إلا فى أزمنة وأمكنة معينة، توجد فيها لغتان: إحداهما للخاصة أو للتدوين الأدبى، وأخرى للعامة أو لمجموع الشعب.

إذا ما ارتضينا هذه الشروط، كانت صورة الأدب الشعبى لدينا أحسن ما تكون انطباقاً على الملاحم التى كانت شائعة، مثل سيرة عنترة والظاهر بيبرس وأبى زيد الهلالى وأمثالها. فهى التى تتوفر لها كل الشروط السابقة[1]. أما الشعر الغنائى فيبعد عنها قليلاً أو كثيراً، فالشعر الغنائى الشعبى الحق لا نستطيع أن نرجعه إلى تاريخ محدد، ومن المتعذر أن نقطع فى شعر من المروى شفاها الآن بين الشعب أنه من المتوارث عن العصور القديمة.

وبعض الشعر الغنائى الشعبى الذى نعتمد عليه فى هذه الدراسة، عثرنا عليه فى كتب مدونة فى أزمان مختلفة، ولا نستطيع أن نقطع أنه كان – عند تأليفه – يعبر عن وجدان الشعب فى مجموعه، أو اتصف بهذه الخاصة فيما بعد، لأننا لا نستطيع أن ندعى أنه انتشر بين الشعب، وصقلته الأفواه بما يوافق الأذواق. فالصفة الوحيدة التى يتحلى بها هذا الشعر هى العامية، حتى إننا نعرف أسماء مؤلفى بعض قصائده. وإن كنا نجهل كل شىء عن أصحاب هذه الأسماء. وبالرغم من كل ذلك نعتمد عليه فى الدراسة، لأنه عامى أولاً ولأنه الشعر الوحيد الذى نعرف تاريخ تأليفه أو دورانه على الألسنة ثانياً، ولأنه يعطينا أشكالاً ربما لم تكن تخالف أشكال الشعر الشعبى الحق.

ويؤدى بنا هذا القول بأن عبارة "الأدب الشعبى" تقوم عندنا مقام عبارة "الفنون الملحونة" عند أسلافنا، ويعنون بذلك الفنون الشعرية العامية

---

[1] راجع: الشعر الشعبى العربى للدكتور/ حسين نصار، مرجع سابق، ص 22: 23.

obeikandl.com

للغة. ولست أعنى بذلك أن مفهومنا من الأدب الشعبى هو مفهوم أسلافنا من الفنون الملحونة دون فرق ما ، بل هناك فروق كثيرة ، فمفهومنا نحن أوسع وأشمل ولا يقتصر على النظر إلى اللغة التى كتب بها الفن، ومفهومنا نحن لا تشوبه فى هذه الأيام، عند كثير من الدارسين، نظرة الازدراء التى كان ينظر القدماء والمحدثون إليه بها[1].

قد اقر مجمع اللغة بالقاهرة " المأثورات الشعبية لكلمة فولكلور" وأول من استعمل كلمة فولكلور للدلالة على الآثار الشعبية القديمة هو العالم الانجليزى تومز ، وقد صاغ تومز كلمة فولكلور من كلمتين هما فولك بمعنى الشعب أو الصف من الناس، ولور بمعنى الحكمة. إلا أن اللغات العالمية بوجه عام تعبر عنها بالفنون الشعبية.

❖❖❖

موضوعات الأدب الشعبى وفنونه

أولاً ـ الأمثـــال:

الأدب فى أى أمة من الأمم هو المرآة الصادقة التى ترى من خلالها أحوال هذه الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وغيرها ، فالأدب شعره ونثره يدلنا دلالة واضحة عما لهذه الأمة من صفات وأخلاق وعادات وتقاليد ومعتقدات وحياة بكل ما تشمل الحياة فى جوانبها المختلفة.

والأمثال هى خلاصة التجارب والمعارف الإنسانية وهى نابعة من

(1) الشعر العربى للدكتور/ حسين نصار، المرجع السابق، ص 26: 27.

الحيـاة الاجتماعيـة وجـذورها مترسـخة فـى الآداب العربيـة منـذ عصـر الجاهليـة وبـزوغ الإنسـانية علـى هـذه الأرض العربيـة، فهـى تمثـل جانبـاً كبيراً من التراث الأدبى لأمتنا العربية فى العصر الجاهلى، وقد تميزت الأمثـال ببسـاطة الألفـاظ وعمـق الدلالـة وتصـويرها المـادى للبيئـة التـى صدرت فيها.

فالأمثال تعتبر نوعاً من الحكمة يستظل بها المسافر من وهج الحر وقت القيلولة، فتستريح نفسه ويتجدد نشاطه، فالحكيم فى المثل يحـاول أن يظهـر حكمـة الحيـاة وتجاربهـا فيسـتفيد منهـا كـل أفـراد المجتمع، وتستفيد بالمثل النفس القلقة المضطربة فيكون عوناً لها على السير فى الحياة حلوها ومرها.

فالمثل له شقان: شق ثقافى علمى حضارى، وشق عملى يستفيد منه أولو العقول الفطنة الألباب الزكية.

ويحضرنى فى هذا المقام القصة التى وردت عن ابن المقفع، فقد جلس ذات يوم فى صحب لهم يسألهم: "أى الأمم أعقل؟" فنظر بعضهم إلى بعـض وقـالوا: لعلـه أراد الفـرس، فحكمـوا للفـرس فـردهم ومـا زالـوا يعرضـون عليـه الأمـم إلا العـرب وهـو يـردهم حتـى سـكتوا، فقـال: أعقـل الأمم العـرب فضـحكوا، فقـال: إن العـرب حكمـت علـى غيـر مثـال مثـل لهـا، وآثـار أثـرت، هـم أصـحاب إبـل وغـنم وسـكان شـعر وأدم، يجـود أحدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ويشارك فى ميسوره ومعسوره، ويصف الشئ فيكـون قـدوة ويفعلـه فيصـير حجـة، ويحسـن مـا شـاء فَيَحْسُـن، ويقبح ما أراد فَيَقْبُح، فقد أدبتهم أنفسهم ورفعتهم هممهم وأملتهم قلوبهم

وألسنتهم، فمن وضع حقهم خسر ومن أنكر فضلهم خصم".

ويؤيد ذلك – أيضاً – ما دار بين النعمان بن المنذر وكسرى ملك الفرس عندما فضل كسرى الهند والروم والصين وغيرها من الأمم على العرب، فلم يرضَ النعمان بذلك، وقال للملك بعد أن طلب منه الأمان: "فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها، قال كسرى بماذا؟ قال النعمان: بعزها ومنعتها وحسن وجوهها، وبأسها، وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها، وأنفتها ووفائها"(1).

ثم بين كل ذلك ووضحه فقال: وأما حكمة ألسنتهم، فإن الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه، مع معرفتهم الأشياء وضربهم الأمثال، وإبلاغهم فى الصفات"(2).

ويقول الزمخشرى عن الأمثال:

"هى قصارى فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها وزبدة جوارها وبلاغتها التى أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ، فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة، فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت فى التصريح، وكَنَتْ فأغنت عن الإفصاح"(3).

وسوف نتناول فى الصفحات التالية جانباً كبيراً من الأمثال التى تناولناها فى كتابنا "دراسات أدبية فى الخطب والأمثال الجاهلية".

وقد جاءت تلك الدراسة تحت عنوان "أمثال الشعراء الجاهليين –

---

(1) جمهرة خطب العرب، للدكتور/ أحمد زكى صفوت، جـ1، ص 51.
(2) المرجع السابق، ص 52.
(3) المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى، جـ1، المقدمة "ب، ج".

دراسة دلالية"، حيث اقتصرت فى تلك الدراسة على المقصود بأمثال الشعراء الجاهليين، وقصد بها تلك الأمثال التى وردت شعراً على ألسنة شعراء الجاهلية دون غيرهم، وجاء ورودها فى هذا الكتاب بغرض دراستها كأمثال صدرت عن عامة الناس، ومن ثم تناولتها كفن من فنون الأدب الشعبى، فهى تصور لنا تصويراً صادقاً واقع الحياة فى تلك الفترة.

❖❖❖

أمثال الشعراء الجاهليين وتصويرها لبيئتهم

للأمثال مكانتها السابقة عند كل الشعوب والأمم، وذلك لأنها حكمتها وخلاصة تجاربها فى الحياة.

يقول أبو عبيد:" الأمثال حكمة العرب فى الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعرض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها".[1]

ولقد صدر عن العرب فى الجاهلية من الأمثال ما لم يصدر عن غيرهم من الأمم والشعوب من حيث الكثرة والجودة وقد وجدت فى الأمثال دلالات واضحة على حياة الأمة العربية ولاسيما فى العصر الجاهلى. فهى تكشف عن طبيعة هذه الحياة وتوضح كثيرا من مظاهرها.

يقول الزمخشرى:"وكذلك لعبت الأمثال دورا خطيرا فى حياة العرب إذ كانت مرآة أحوال الناس الاقتصادية والذهنية فهى ميزان يوزن

(1) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى، ج1، ص481.

obeikandl.com

به رقى الشعوب وانحطاطها"[1].

ويقول أيضاً:"كانت الأمثال فرائض أفكارهم ونتائج تجاربهم. فلذلك تعطى الأمثال فكرة الأشخاص الذين كانوا يستعملونها وتصور لنا أخلاق الناس وعاداتهم"[2].

وكذلك يمكن عد الأمثال من بقايا أقدم النثر العربى لما يبدو من أن بعضها كان سائرا مشهورا فى الجاهلية وكثيرا ما تشير هذه الأمثال إلى أحداث ووقائع معينة حصلت قديما[3].

يقول الدكتور شوقى ضيف: "إذا كان القصص الذى أضيف إلى الجاهليين لا يحمل لنا صورة دقيقة للنثر الجاهلى بحكم تأخره فى التدوين، فأن الأمثال تحمل لنا غير قليل من هذه الصورة إذ من شانها أن لا تغير وان تظل طويلا بصورتها الأصلية بحكم إيجازها وكثرة دورانها على الألسنة".[4]

أضف إلى ذلك أيضا إذا كان بعض هذه الأمثال قد جاء شعرا أو ضمنه الشعراء أقوالهم فأن ذلك سوف يساعد على المحافظة عليه واستمراره على صورته التى هو عليها، يدلنا على ذلك قول الجاحظ: "ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه، وكذلك المثل السائر.[5]

---

(1) المستقصى فى الأمثال للزمخشرى، المقدمة، ص 5.
(2) المرجع السابق، ص4.
(3) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ج1 /29، الطبعة الخاصة، دار المعارف.
(4) العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف، ص404، الطبعة الحادية عشر، دار المعارف.
(5) البيان والتبيين للجاحظ ج20/1. تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الخامسة، 1405 ه -1985.

obeikandi.com

ويقول أيضا :"وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ومدار العلم على الشاهد والمثل"[1]

فالأمثال تضفى على الكلام روعة وجمالا وتكسبه بريقاً وقبولاً فتجعله يصافح السامع ويلامس القلوب، ويقع من النفوس موقعا كريماً. وقد فطن إلى ذلك بعض العلماء والأدباء، نذكر منهم صاحب العقد الفريد حيث يقول: "الأمثال وهى وشى الكلام، وجوهر الفظ وملى المعانى، والتى تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها فى كل زمان ومكان، وعلى كل لسان فهى أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة[2]".

ويقول الدكتور شوقى ضيف:" وقد أكثر العرب من صنع الأمثال وضربها فى جميع أحداثهم وشئون حياتهم[3]"

وقد تركز اهتمام بعض العلماء على إبراز وبيان أهمية الأمثال الاجتماعية، فنجد من العلماء من يقول:" وعلى كل حال فسنبحث فى الأمثال فقط من ناحية دلالتها العقلية فمن أمثال الأمة نستطيع أن نتفهم الدرجة التى وصلت إليها، ونستطيع أن نعرف كثيرا عن أخلاقها وعاداتها[4]، ثم نجده يبين قيمتها بين فنون الأدب بالنسبة للعامة، والخاصة فيقول:" كانت دلالة الأمثال على لغة الشعوب أصدق من دلالة الشعر[5]"

---

(1) البيان والتبيين، المصدر السابق، ج1، ص 271.
(2) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج63/3 ،
(3) الفن ومذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقى ضيف، ص22.
(4) فجر الإسلام لأحمد أمين، ص96,97.
(5) المرجع السابق، ص 98.

وذهب بعض المحدثين إلى إننا نعيش جزءا كبيرا من مصائرنا فى عالم الأمثال، ولعل هذا يفسر لنا استعمالنا الدائم للأمثال، الأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ تركن إليه، حينما نود إن نتجنب التفكير الطويل فى نتائج تجربتنا – ونحن نذكرها بحرفيتها، وإذا كانت تتفق مع حالتنا النفسية، بل إننا نشعر بارتياح لسماعها وان لم نعش التجربة التى يلخصها المثل"[1].

فالأمثال هى فلسفة الحياة الأولى، ولها فى تاريخ الفكر أهمية كبرى لا يدركها إلا من يتعمق فى دراسة نفسية الشعوب والأمم التى تصدر عنها هذه الأمثال ومن يتفكر فى الأمثال الجاهلية يجد أن لكثير منها صلة وثيقة بالبيئة الجاهلية، وان لتلك البيئة أهمية كبرى فى فهمها وتفسيرها فمن يعمل النظر فى هذه الأمثال يجدها مستقاة من حياة العربى المادية والمعنوية، ومن عاداته وتقاليده وحروبه وأرائه فى الجود وحسن الجوار وعلاقاته بأهله وعشيرته وغير ذلك.

فالعربى إن أراد التعبير عن الجود قال أجود من حاتم أو أجود من كعب بن مامة أو أجود من هرم.

وإذا أراد التعبير عن حسن الجوار قال: جار كجار أبى دؤاده[2].

وإذا أردا التعبير عن الحلم قال: أحلم من الأحنف[3].

وإذا أراد التعبير عن الوفاء قال: أوفى من السموأل، أو أوفى من الحارث

---

(1) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى للدكتورة نبيلة إبراهيم، ص 147، مطبعة العالم العربى، القاهرة.
(2) المستقصى فى أمثال العرب، ج1، ص ص 53: 56.
(3) المرجع السابق، ج1، ص 70.

بن ظالم"[1].

وبذلك يتضح لنا ما للأمثال من أهمية كبرى فى تصوير البيئة الجاهلية وبيان ما كان يدور فيها من عادات وتقاليد وغير ذلك.

وأننا لو نظرنا لأمثال الشعراء الجاهليين لوجدنا أنها تمثل جانباً مهما من الأمثال الجاهلية عامة، ومن ثم نلاحظ أنها قد تنوعت لتشمل مختلف شئون الحياة فى ذلك الوقت نجد منها ما يمثل الحياة الاجتماعية بمختلف صنوفها، ومنها ما يمثل البيئة الصامتة، والمتحركة، وهكذا..

وسوف نحاول تصنيف أمثال الشعراء الجاهليين إلى موضوعات تصور لنا حياتهم الاجتماعية والسياسية ومعتقداتهم، وعاداتهم، وكل ما يدور فى بيئتهم من أحداث، وتلك هى أهم موضوعات أمثال الشعراء الجاهليين:

الظلم وصوره المختلفة

اشتعلت أمثال الشعراء الجاهليين على الكثير من الأمثال التى تصور لنا الظلم الذى كان سائدا فى البيئة الجاهلية فى ذلك الوقت وتبين لنا صوره المختلفة فقد يعاقب من لا ذنب له، وقد يؤخذ البريء بذنب غيره، ويجازى المحسن على إحسانه بمعاقبته وقتله إذا اقتضى الأمر.

وقد جاءت أمثال الشعراء الجاهليين لتصور لنا كل هذه الأنواع من الظلم، فقالوا:

- رب ملوم لا ذنب له:

قاله الأحنف لرجل ذم عنده الكمأة مع السمن: قال:

(1) نفسه، ج1، ص 434: 436.

obeikandl.com

فلا تلم المرء فى شأنه فرب ملــوم ولم يذنب[1].

وجاء فى فصل المقال للبكرى: "ومن هذا قول أكثم بن صيفى: "رب ملوم لا ذنب له". فيقول: قد ظهر للناس منه أمرا نكروه عليه، وهم لا يعرفون حجته وعذره، فهو يلام"[2] وفى ذلك ظلم له.

- مالى ذنب إلا ذنب صحر:

قال خفاف بن ندبة:

وعباس يدب لى المنايا ∴ وما أذنبت إلا ذنب صحر

وهى صحر بنت لقمان، وكان أبوها قد لطمها لطمه قضت عليها دون ذنب فعلته فصارت عقوبتها مثلا لكل من يعاقب ولا ذنب له[3].

- وكذلك مثلهم: جزاء سنمار:

وهو رجل رومى بنى الخورنق الذى بظهر الكوفة للنعمان ابن امرئ القيس، فلما فرغ منه ألقاه من أعلى القصر فخر ميتا.

قال الشاعر:

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا ∴ جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

فضربت العرب به المثل لمن يجزى بالإحسان الإساءة[4].

- كالثور يُضرب لما عافت البقر:

---

(1) المستقصى، ج2، ص 99.
(2) فصل المقال للبكرى، ص 73.
(3) الميدانى ج242/3، 243، المستقصى ج86/2، 87، الجمهرة ج211/2، 212، فصل المقال للبكرى،، ص 385.
(4) الميدانى ج283/1، المستقصى ج52/2، الجمهرة ج274/1، تمثال الأمثال، ص 411، فصل المقال للبكرى،، ص 386.

obeikandl.com

وهو مثل يُضرب للرجل يؤخذ بذنب غيره، حيث كانت العرب تزعم أن الجن تركب ظهور الثيران فتمتنع عن الشرب، وتمنع البقر معها.

قال أنس بن مدركة:

إنى وقتلى سليكا ثم أعقله

كالثور يضرب لما عافت البقر

وما ذنبه إن عافت الماء باقـــر

وما إن تعاف الماء إلا ليضربا[1].

- أما مثلهم كذى العر يُكوى وهو راتع:

فهو يضرب فى أخذ البريء بذنب صاحب الجناية.

يقول النابغة:

حملت على ذنبه وتركته ∴ كذى العر يكوى وهو راتع[2]

وكان العرب يكرهون الظلم والبغى ويخافون سوء مغبته ولذلك جاء مثلهم:

- الظلم مرتعه وخيم:

قال قيس بن زهير العبسى:

ولكن الفتى حمل بن بدر ∴ بغى والبغى مرتعه وخيم[3].

وكذلك كان القضاء بدون حق، صورة من صور الظلم. ومن ذلك مثلهم:

---

(1) الميدانى ج23/3، جمهرة الأمثال ج233/1، 234، المستقصى ج204/2، 205،
(2) الميدانى ج49/3، المستقصى ج217/2، الجمهرة ج138/2.
(3) المستقصى ج330/1، 331.

obeikandl.com

- أجور من قاضى سدوم:

وسدوم مدينة من مدائن قوم لوط، وكان بها قاض جائر يتمثل به فى الظلم والجور.

قال عمرو بن الدراك العبدى:

لأعظم فجرة من أبى رغال ∴ وأجور فى الحكومة من سدوم

وأبو رغال رجل وجهه صالح النبى - عليه السلام – على صدقات فأساء السيرة، فقتلته ثقيف، وقيل: هو دليل أبرهة إلى البيت وهو الذى يرجم قبره بمكة[1].

وتتجلى فى الحروب التى خاضها العرب فى الجاهلية بين بعضهم البعض أو مع غيرهم الكثير من صور الظلم والبطش، فقد جاء مثلهم:

- وأبطش من دوسر:

يقول الشاعر:

ضربت دوسر فيهم ضربة ∴ أثبتت أوتاد مُلك فاستقر[2].

ودوسر إحدى كتائب النعمان بن المنذر، وسميت دوسر اشتقاقا من اليسر وهو الطعن بالثقل وذلك لبطشها الشديد لمن يقف أمامها، والعربى بطبعه يرفض الظلم ولا يرتضيه لنفسه، ولذلك جاءت أمثالهم تدعو للوقوف فى وجه الظالم فقالوا:

---

(1) المستقصى ج56/1، الدرة الفاخرة ج119/1، 120.
(2) الميدانى ج207/1، 208، المستقصى ج23/2، 24، ، الدرة الفاخرة ج94/1- 95.

obeikandl.com

- من لا يزد عن حوضه بسلاحه:

وهو من قول زهير:

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه ∴ يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم[1]

وهكذا تتضح لنا بعض صور الظلم المختلفة التى كانت سائدة فى المجتمع الجاهلى، وقد جاءت أمثالهم لتصور لنا ذلك أصدق تصوير وأتمه ومنتزعة صورها من واقع البيئة والطبيعة الجاهلية.

❖❖❖

الوفاء والغدر وصورهما فى الحياة

الوفاء من الأخلاق الكريمة التى تخلق بها العربى فى الجاهلية، وجاءت أمثال الشعراء الجاهليين لتبين لنا قيمة الوفاء عند العرب وتُعلى من قدره بينهم، وفى نفس الوقت تحط من قدر الغدر والخيانة فهما ضد الوفاء.

ولم يقتصر الوفاء عندهم على الرجال دون النساء، فقد جاءت أمثالهم تبين لنا وفاء بعض النساء فى الجاهلية إلى جانب وفاء الرجال منهم، ومن أمثالهم فى ذلك:

- أوفى من فكيهة:

وهى امرأة من بنى قيس بن ثعلبة وهى التى لجأ إليها السليك ابن السلكة فاستجارها فأجارته.

يقول فيها السليك:

لعمر أبيك والأنباء تنمى ∴ لنعم الجار أخت بنى عوارا

---

[3] المستقصى ج359/2، العقد الفريد ج130/3.

obeikandl.com

عنيت بها فكيهة حينما قامـــت ∴ كنصـل السيـف تنتزع الخمارا

من الخفرات لم تفضح أخـاها ∴ ولم ترفع لوالدها شنـــارا[1].

هذا عن وفاء النساء، أما عن وفاء الرجال فجاء فى أمثالهم:

- أوفى من السموأل:

هو السموأل بن عاديا وهو يهودى، وكان من وفائه أن قدم قتل ابنه على أن يدفع بدروع امرئ القيس إلى غير ورثته، وقال فى ذلك:

وفيت يا درع الكندى إنى ∴ إذا ما خان أقوام وفيت

ويقول الأعشى فى ذلك أيضا:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به

فى جحفل كسواد الليل جـرَّار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله

حصن حصين وجار غير غدَّار

إذ سامه خطى خسف فقال له

مهما تقله فإنى سامع جار[2].

ومن صور الوفاء أيضا حسن الجوار، والجوار هو لجوء إنسان إلى إنسان أخر والاحتماء به فيصبح على المجير إن يجير من استجار به مما يجير من نفسه وماله وولده.

وممن عرف بحسن الجوار وضرب به المثل فى ذلك كعب بن

---

(1) الميداني ج452/3، 453، المستقصى ج438/1، تمثال الأمثال ص 344، 345، الدرة الفاخرة ج2، ص ص 419، 420، الجمهرة ج273/2.

(2) الميداني ج446/3، 447، المستقصى ج435/1 ،436، تمثال الأمثال، ص343 ، 344، الدرة الفاخرة، ج2/ص415 و 416، أشهر الأمثال، ص 159، الجمهرة، ج271/2.

obeikandl.com

مامة الذى جاوره الشاعر أبو داوود الأيادى، فكانت العرب تضرب به المثل فى حسن الجوار، ومن هنا جاء مثلهم:

- جار كجار أبى دواد:

قال قيس بن زهير:

أطوف وما أطوف ثم آوى ∴ إلى جار كجار أبى دواد

وقال طرفة بن العبد:

إنى كفانى من أمر هممت به ∴ جار كجار الحذاقى الذى اتصفا

والحذاقى: هو أبو دواد[1].

ولم يقتصر العرب فى حسن جوارهم على الإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى، وإنما شمل حسن جوارهم الحيوان والطير أيضاً، فجاء مثلهم:

- أحمى من مجير الجراد:

وهو مدلج بن سويد الطائى وكان قد حمى جرادا نزل بفنائه.

ويقال إن المجير كان حارثة بن مر " أبا حنبل "، وفيه يقول شاعر طيىء:

ومنا ابن مر أبو حنبل ∴ أجار من الناس رجل الجراد[2].

ومن أمثالهم فى ذلك أيضاً:

- أحمى من مجير الظعن:

وهو ربيعة بن مكدم الكنانى، ومن حديثه إن نبيشة بن حبيب

(1) الميدانى ج298/1، الدرة الفاخرة ج130/1، 131 ، أشهر الأمثال، ص 62.
(2) الميدانى ج393/1، المستقصى ج87/1، 88، الدرة الفاخرة ج166/1.

obeikandi.com

السلمى خرج غازياً فلقى طعنا من كنانة بالكديد، فأراد أن يحتويها فمانعه ربيعة بن مكدم، وكان غلاماً له ذؤابة، فشد عليه نبيشة فطعنه فأتى ربيعة أمه وقال:

عدى على العصب أم سيار ∴ قد رزئت فارسا كالـــــــدينار

وقال فيه حسان بن ثابت:

لا يبعدن ربيعة بن مكدم ∴ وسقى الغوادى قبره بذنوب

ولم يعرف ميت حمى ظعائن غير ربيعة بن مكدم[1].

ومن صور الوفاء أيضاً: انجاز المواعيد، وضده خلف الوعد، وقد جاءت بعض الأمثال تحذر من خلف الوعد فقالوا:

- أخلف من عرقوب "مواعيد عرقوب":

وهو رجل من العماليق، وقيل هو رجل من ساكنى يثرب من الأوس أو الخزرج، وقيل هو رجل من خيبر يهودى، كان كذوباً يعد ولا يفى. وقيل مواعيد عرقوب أى مواعيد فيها خلف.

يقول المتلمس:

الغـــــدر والآفـــات شيـمته ∴ فافهم فـــــعرقوب له مثل

ويقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ∴ وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال الأشجعى:

وعدت وكان الخلف منك سجية ∴ مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

---

(1) الميدانى ج1/393، 394، المستقصى ج1/88، الجمهرة ج1/330، 331، تمثال الأمثال، ص 142: 145، الدرة الفاخرة، ج1، ص 167، 168.

obeikandl.com

وقال الشماخ:

وواعدتنى مالا أحاول نفعه ∴ مواعيد عرقوب أخاه بيثرب[1].

ومن الأمثال التى جاءت فى الخلف –أيضاً- مثلهم:

- أخلف من نار الحُباحب:

وهو رجل من العرب من سالف الدهر بخيلا لا توقد له نار بليل كراهية أن يقتبس منها، فإن أوقدها ثم أبصر مستضيء أخفاها. فضربت العرب بناره المثل فى الخُلف.

قال النابغة:

تقدُّ السلوقىَّ المضاعف نسجه ∴ وتوقد بالصُّفاح نار الحُباحب[2]

أما الغدر فهو صفة خسيسة نفر منها العربى، ولذلك جاءت أمثالهم تحذر من الغدر وتذكر من عرفوا بغدرهم فقالوا:

- أغدر من قيس بن عاصم:

وكان يلقب بالبذغ، ومعناه المتلطخ بالعذرة لغدره، وزعم أبو عبيدة أنه كان من أغدر العرب، ومن ذلك أنه جاوره تاجر فربطه، وأخذ متاعه، وشرب خمره، وجعل يقول:

وتاجر فاجر جاء الإله به ∴ كأن عثنونه أذناب أجمال

ومن حديثه فى الغدر –أيضاً- أنه جبى صدقة بنى منقر للنبى– صلى الله عليه وسلم- ، فلما بلغه موته – صلى الله عليه وسلم -

---

(1) الميداني ج330/3، 331، المستقصى ج107/1، 108، الدرة الفاخرة ج177/1، 178، الجمهرة ج351/1، الفاخر ص 133، 134، فصل المقال، ص 113: 115، المزهر للسيوطى ج494/1، 495.

(2) المستقصى ج11/1، 108، الدرة الفاخرة ج179/1، 180، العقد الفريد ج90/2، ديوان النابغة تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 46.

obeikandl.com

قسمهما فى قومه، وقال:

ألا أبلغا عنى قريشا رسـالة ∴ إذا ما أتتهم مهديات الودائـع

حبوت بما صدقت فى العام منقرا ∴ وأيأست منها كل أطلس طامع[1]

- أغدر من أم أدراص:

قيل الدرص ولد اليربوع وما أشبهه، وقيل أرض مضللة وغدرها أنها تعثر من يطؤها ظنا منه أنها أرض مستوية.

قال عامر بن مالك الجعفرى لقيس بن زهير:

وما أم أدراص بأرض مضللة ∴ بأغدر من قيس إذا الليل أظلما

وقد جاء هذا البيت فى مجمع الأمثال للميدانى منسوباً إلى الطفيل[2].

وممن ضُرب بهم المثل فى الغدر – أيضاً- بنو سعد وكانوا يكنون عن الغدر بكيسان وضعوه له، فجاء مثلهم:

- أغدر من كناة الغدر:

يقول النمر بن تولب:

إذا كنت فى سعد وأمك منهم ∴ غريباً فلا يغررك خالك من سعد

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم ∴ إلى الغدر أوفى من شبابهم المرد[3]

هذه هى بعض أمثال الشعراء الجاهليين التى جاءت لتصور لنا بعض الصفات التى اتصف بها بعض هؤلاء الناس من غدر ووفاء وحسن جوار.. وغير ذلك من صفات.

---

(1) المستقصى ج259/1، الجمهرة ج77/2، الدرة الفاخرة ج324/1.
(3) الميدانى ج103/2، المستقصى ج258/1.
(3) المستقصى ج260/1، الجمهرة ج77/2، الدرة الفاخرة ج324/1.

وقد جاءت أمثالهم منتزعة من بيئتهم الجاهلية، ومن واقع تجاربهم فى الحياة.

❖❖❖

التفاؤل والتشاؤم

لقد عرف العرب فى الجاهلية التفاؤل والتشاؤم وكثيرا ما كانوا يعتقدون به، ولذلك تطيروا، والتطير فى الأصل نوع من الزجر بالطير يقوم على مراقبة حركات الطيور، فإن تيامنت تفاءل بها العرب، وإن تياسرت تشاءموا من ذلك[1].

والتطير بالطير كان له تأثير بالغ القوة فى حياة الجاهليين، فإذا خرج أحدهم لحاجة ما، ورأى طيراً عن يمينه تفاءل، واستمر فى قصده، وإن طار عن يساره تشاءم به، وقفل راجعاً[2].

ولذلك جاءت أمثالهم فى التشاؤم بنوع من الطير كالغراب والزماح، فقالوا:

- أشأم من غراب البين:

وإنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان بأهل النجعة وقع فى موضع بيوتهم يتلمس، فتشاءموا به، وتطيروا منه إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا – فسموه غراب البين.

ومن تشاؤمهم بالغراب، اشتقوا من اسمه الغربة، والاغتراب، ولا شيء يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه ويرون أن صياحه

(1) اللسان لابن منظور، مادة "طير".
(2) إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى، ج396/8، بيروت، دار صادر، 1886م.

obeikandl.com

أكثر إخبارا وان الزجر فيه أعم. قال عنترة:

خرق الجناح كان لحيي رأسه ∴ جلمان بالأحبار هش

مولع[1]

- أشأم من الزماح:

وهو طائر عظيم زعموا أنه كان يقع على دور بنى خطمة من الأوس، من بنى معاوية: كل عام أيام التمر فيصيب طعماً من مرابدهم فإذا استوفى حاجته طار ولم يعد إلى العام المقبل.

أما بنو معاوية فهلكوا جميعا ولم يبق منهم ديار.

قال قيس بن الخطيم:

أعلى العهد أصبحت أم عمرو ∴ ليت شعرى أم عاقها الزماح[2]

كما نلاحظ أنهم قد تشاءموا من الأشياء التى كانت سبباً فى وقوع الحروب والتى نتج عنها الهلاك والدمار والفناء، ومن أمثالهم فى ذلك:

- أشأم من أحمر عاد:

وهو قدار بن قديرة وهى أمه، وأبوه سالف عقر ناقة صالح فهلكت بفعله ثمود. قال زهير:

فتنتبح لكم غلمان أشأم كلهم ∴ كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

ويضرب فى الشؤم، وقالوا أيضا أشأم من قدار[3].

- أشأم من الشقراء على نفسها:

---

(1) الميدانى ج194/3، 195، المستقصى ج183/1، الدرة الفاخرة ج249/1: 253.
(2) الميدانى ج207/2، المستقصى ج178/1، الجمهرة ج456/1، الدرة الفاخرة، ج248/1.
(3) المستقصى ج176/1، تمثال الأمثال ص 491، 492، فصل المقال ص 459.

obeikandi.com

وهى اسم فرس، وكانت جموحا يتشاءم بها الناس فيضرب بها المثل، قال بشر بن أبى حازم:

فأصبح كالشقراء لم يعد شرها ∴ سنابك رجليها وعرضك وافر[1]

- أشأم من تالى النجم:

وهو الدبران ويقال له التبع أيضا، أو التابع، والتو يبع، وإنما سمى بذلك لأنه يتلوا الثريا، وذكر ذلك طفيل فى قوله:

أما ابن طوق فقدأ وفى بذمته ∴ كما أوفى لقلاص النجم حاديها

ويقال له حادى النجم وهو من النحوس عندهم، قال بعضهم يذكر لقاء عبيد بن الأبرص بالنعمان يوم بؤسه.

غداة توخى الملك يتلمس الحيا ∴ فصادف نحسا كان كالدبران

وقال الأسود بن يعفر:

ولدت بحادى النجم يتلو قرينه ∴ وبالقلب قلب العقرب المتوقد[2]

- أشأم من البسوس:

والبسوس هى بسة بنت منقذ التميمية زارت أختها أم جساس بن مُرّة ومعها جار لها اسمه سعد بن شمس ومعه ناقة، قد خلت فى حمى كليب فرمى ضرعها، فأقبلت ترغو وضرعها يشخب دماً ولبنا، فصاحت البسوس وا ذلاه ! وا غربتاه! وأنشأت تقول:

لعمرى لو أصبحت فى دار منقذ

فما ضيم سعد وهو جار لأبياتى

---

(1) المستقصى ج179/1، 180.
(2) الميدانى ج103/2، المستقصى ج258/1.

ولكنى أصبحت فى دار غربـــة

متى يعد فيها للذئب يعدو على شاتى

فيا سعد لا تغرر بنفسك دار تحل

فانك فى قوم عن الجار أمـــــــوات

والعرب تسمى هذه الأبيات أبيات الفناء. فلما سمعها جساس طعن كليب طعنة مات منها، ووقعت بينهما الحرب التى استمرت أربعين سنة، وقيل البسوس اسم ناقة[1].

- أشأم من داحس:

أما داحس فهو فرس قيس بن زهير العبسى، وقعت الحرب على رأسه بين عبس وذبيان أربعين سنة. قال العبسى:

وإن الرباط النكد من آل داحس

أبين فيما يفلحن يوم رهان

جلبن بإذن الله مقتل مـــــالك

وطرحن قيسا من وراء عمان

وكانت حرب داحس والغبراء بعد جبلة بأربعين سنة.

ولذلك قال لبيد:

وعمرت حرسا قبل مجرى داحس ∴ لو كان للنفس اللجوج خلود[2]

- أشأم من منشم:

وقد اختلفت الرواة فى لفظ هذا الاسم "منشم" ومعناه واشتقاقه

---

(1) المستقصى ج176/1، 177، الفاخر ص 93: 96، الدرة الفاخرة ج236/1: 271، الميدانى ج181/2: 184.

(2) المستقصى ج182/1، الفاخر ص219: 224، الدرة الفاخرة ج232/1، ديوان لبيد ص46.

obeikandl.com

وفى سبب المثل، وقد تمثل به زهير بن أبى سلمى، حيث يقول:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما ∴ تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقال ابن السكيت: العرب تكنى عن الحرب بثلاثة أشياء أحدها :عطر منشم. وقال المرار بن علقمة البكرى:

ودقت بنو بكر ودارت رحاهم

على ابن لؤى فى الوغى عطر منشم

وقال الأعشى:

فدع ذا ولكن ما ترى رأى كاشح

يرى بيننا من جهله دق منشـــــم

وقال – أيضاً- :

أرانى وعمرا بيننا دق منشم ∴ فلم يبق إلا أن يجنَّ وأكلبا[1]

أما عن التفاؤل:

فقد جاءت أمثالهم بنوع من الطير جاء به قبل ذلك يحمل معنى التشاؤم، فالغراب مثلاً ضربوا به المثل فى التفاؤل، كما ضربوا به المثل فى التشاؤم فهو بذلك يدل على المعنيين معا "التفاؤل والتشاؤم". ومن أمثالهم فى ذلك:

- هم فى عيش لا يطير غرابه:

وأصله أن الغراب إذا وقع فى موضع لم يحتج أن يتحول إلى غيره، وقد يضرب فى كثرة الخصب والخير، ويضرب- أيضاً- فى

(1) الميدانى ج191/2، 192، المستقصى ج184/1، 185، فصل المقال ص 485، 486، الدرة الفاخرة ج242/1، كتاب الأمثال لأبى فيد السدوسى تحقيق د/رمضان عبد التواب، ص 50.

obeikandl.com

الشدة ومنه قول النابغة الذبيانى:

ولرهط حراب وقدَّ سورة ∴ فى المجد ليس غرابها بمطار

أى أن من عرض لهم لم يمكنه إن ينفر سوادهم لعزهم وكثرتهم، وذكر بعض أصحاب المعانى أن نعيب الغراب يتطير منه ونعيقه يتفاءل به[1].

أما عن دوام النعمة ورخاء العيش فقد جاء مثلهم:

- أنعم من حيان أخى جابر:

وهو رجل من العرب كان فى رخاء من العيش ونعمة من البدن، فضُرب به المثل. يقول الأعشى فيه:

شتان ما نومى على كورها ∴ ونوم حيان أخى جابر[2]

وقالوا أيضا عن التفاؤل بالغراب:

- أبصر من غراب:

يقول أبو الطمحان القينى:

إذا شاء راعيها استقى من وقيعة

كعين الغراب صفوها لم يكدر

وقال ابن الأعرابى:

إن العرب تسمى الغراب: الأعور لأنه مغمض أبدا إحدى عينيه، وقال غيره: إنما سموه أعور لحدة بصره على طريق التفاؤل[3].

---

(1) الميدانى ج480/2، المستقصى ج399/2، الدرة الفاخرة ج349/1، 350، فصل المقال ص277، 278، ديوان النابغة ص55، كتاب الأمثال لأبى عكرمة الضبى تحقيق د/رمضان .....، ص73.
(2) الميدانى ج412/3، المستقصى ج393/1، الدرة الفاخرة ج403/2، ديوان الأعشى ص 197.
(3) الميدانى ج203/1، المستقصى ج21/1، 22، الدرة الفاخرة ج78/1، الجمهرة ج195/1.

obeikandl.com

ويقول ابن رشيق:

والغراب أعظم ما يتطيرون به، والقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد، ويسمونه حاتما لأنه يحتم عليهم بالفراق، ويسمونه الأعور على جهة التطير بذلك، إذا كان أصح الطير بصرا[1].

❖❖❖

الصبر وقوة التحمل وعدم اليأس

الحياة الجاهلية مليئة بالمصائب والشدائد نتيجة لظروف البيئة القاسية وعدم الاستقرار الذى يعيشون فيه.

ولذلك وجد العربى أنه لا سبيل أمامه فى مواجهة تلك الشدائد والمصائب إلا الصبر، وقوة التحمل والتجلد، وعدم اليأس مهما كان الأمر صعباً، فأى مصيبة تصيب الإنسان فقد يكون وراؤها ما هو أكبر منها، ومن ثم فعلى الإنسان العاقل أن يصبر ويتحمل ولا يتطرق اليأس إلى نفسه، وإلا كان هلاكه سريعاً، ولذلك جاءت أمثالهم توضح لنا ذلك وتبينه، فقالوا:

- بعض الشر أهون من بعض:

وهو من قول طرفة بن العبد حين أمر النعمان بقتله، فقال:

أبا منذر أف نيت فاستبق بعضنا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ويضرب عند ظهور الشرين بينهما تفاوت، وهذا كقولهم " إن مع

(1) العمدة لابن رشيق ج247/2.

الشر خيارا"[1].

وقال أبو عبيدة: قال الأصمعى فى نحو منه: "إن فى الشر خياراً"، قال ومعناه "إن بعض الشر أهون من بعض".

وجاء فى المستقصى. يضرب فى تهوين المصيبة علما بأن فى المصائب ما هو فوقها[2].

أما فى التأسى والصبر عند نزول المصيبة أو النائبة، فقد جاء قولهم:

- هون عليك ولا تولع بإشفاق:

وهو من شعر ليزيد بن خذاق حيث يقول:

هون عليك ولا تولع بإشفاق ∴ فإنما ما لنا للوارث الباقى[3].

أى يريد أن يقول هون عليك ما لاقيت من المكروه فإنه لن يستطيع أحد أن يخلصك منه فى الدنيا.

أما عندما تصيبهم شدة أو تنزل بهم ضائقة فكانوا يقولون:

- صابت بقر:

يقول عدى بن زيد:

ترجِّيها وقد وقعت بقرٍّ ∴ كما ترجوا أصاغرها عتيب

ويقول طرفة:

سادرا أحسب غيى رشدا ∴ فتناهيت وقد صابت بقرٍّ

أى نزل الأمر فى قراره، فلا يستطاع له تحويل، وصابت بقر وهو النزول،

---

(1) الميدانى ج164/1، الجمهرة ج59/1.
(2) فصل المقال للبكرى ص 244، المستقصى ج413/1.
(3) المستقصى ج402/2، الجمهرة ج282/2، العقد الفريد ج106/3.

obeikandl.com

والقر: القرار، ويضرب عند شدة تصيبهم، أى صارت الشدة فى قرارها.[1]

وقد عُرِفَ العرب بصبرهم وقوة تحملهم لما يصيبهم، وقد ضربت العرب بقضيب المثل فى الصبر على الذل، وقضيب هو رجل كان فى الدهر الأول من بنى ضبة، ولذلك جاء مثلهم:

- أصبر من قضيب:

قال الشاعر:

أقيمى عند غنمى لا تراعى ∴ من القتلى التى بلوى الكثيب

لأنتم يوم جاء القوم سيراً ∴ على المخراة أصبر من قضيب[2].

ومن أمثالهم فى الصبر أيضاً قول أكثم بن صيفى:

- حيلة من لا حيلة له الصبر:

قال: ليس لمن ليست له حيلة ∴ موجودة خير من الصبر[3].

وكما أن الصبر دائماً يكون على المصائب والشدائد، فقد يكون –أيضاً- على الخير والتعود عليه، يدلنا على ذلك المثل القائل:

- عودت كندة عادة فاصبر لها:

وهو من قول الأعشى:

عودت كندة عادة فاصبر لها ∴ اغفر لجاهلها ورو سجالها

ويضرب فى عادة خير يعودها الرجل صاحبه، فعليه أن يدوم عليها ولا يرفضها[4]. وجاءت بعض الأمثال لتدل على شدة حرصهم وقوة

---

(1) الميدانى ج228/2، 229، المستقصى ج137/2، اللسان مادة "قرر".
(2) الميدانى ج242/2، المستقصى ج203/1.
(3) المستقصى ج70/2.
(4) المستقصى ج172/2.

obeikandl.com

تحملهم، فقالوا:

- جاء تضب لثته على كذا:

ويضرب فى شدة الحرص: قال بشر:

وبنو نمير قد لقينا منهم ∴ خيلاً تضب لثاتها للمغنم[1]

وقال - أيضاً- :

ولما آلق خيلا من نمير ∴ تضب لثاتها ترجوا لنهابا[2]

هذه هى بعض الأمثال التى تدل على صبرهم وقوة تحملهم وشدة حرصهم، أما ما يدل على عدم يأسهم فقد جاءت أمثالهم بأمور وأشياء لا يمكن حدوثها، وذلك دلالة على عدم يأسهم مهما كان الأمر صعباً أو مستحيلا، ومن أمثالهم فى ذلك:

- رأى الكواكب ظهرا:

أى أظلم يومه لاشتداد الأمر به حتى لاحت له الكواكب، ويُضرب عند اشتداد الأمر. يقول طرفة:

إن تتـــــــوّله فـــقد تمنعه ∴ وتريه النِّجم يجرى بالظّـــهرُ

ويقول النابغة:

أرحنا معدا من شرا جبيل بعدما ∴ أراهم من الصبح الكواكب مظهرا[3]

وجاء فى الفاخر فى معنى هذا المثل: أى لا لقينك فى شدة يظلم عليك النهار حتى ترى الكواكب، وإنما هذا مثل فى الشدة[4].

---

(1) الميدانى ج290/1، المستقصى ج431/2، الجمهرة ج256/1.
(2) المستقصى ج43/2.
(3) الميدانى ج/237، المستقصى ج92/2.
(4) الفاخر للمفضل بن سلمة، ص 113.

ومن أمثالهم التى ضربت للشيء الذى يرى وإن استصعب قولهم:

- كذب العبر وإن كان برح:

وهذا من بيت أبى دؤاد:

قلت لمَّا فصلا من قنَّةٍ ∴ كذب العير وإن كان برح

وبرح الصيد إذا جاء من اليسار، وفصلا أى خرجا، يعنى الكلب والقنة: أراد بها الربوة، وكذب: فتر، أى: أمكن وإن كان بارحاً. والمعنى أى عليك العبر فصده وإن كان برح[1].

ومن أمثالهم التى تضرب لما ولى ويئس منه قولهم:

- أودى به الأزلم الجذع:

قال لقيط بن يعمر الأيادى:

يا قوم بيضتكم لا تفضحن بها ∴ إنى أخاف عليها الأزلم الجذعا

والأزلم اسم للدهر، والجذع صفة له، لأنه لا يهرم أبدا[2].

ومن أمثالهم التى تضرب فى عدم اليأس والتعلق بأى سبب للنجاة وإن كان ضعيفاً، قولهم:

- أودى عتيب:

وهو عتيب أسلم بن مالك بن شنوءة، وهو أبو حى من العرب، أسرهم ملك واستبد بهم فكانوا يقولون إذا كبر صبياننا لم يتركونا، فلم يزالوا عنده حتى هلكوا، فضربتهم العرب مثلاً:

---

(1) الميدانى ج60/3، الجمهرة ج138/2ن الدرة الفاخرة ج221/1.
(2) الميدانى ج431/3.

obeikandl.com

قال عدى بن زيد:

ترجيها وقد وقعت بقر ∴ كما ترجو أصاغرها عتيب[1].

- أودى درم:

وهو درم بن مُرة بن ذهل بن شيبان، قال الأعشى:

ولم يود من كنت تسعى له ∴ كما قيل فى الحرب أودى درم

وكان قد قتله النعمان فأهدر دمه، وقيل فُقِدَ، كما فُقِدَ القارظ[2].

ومن أمثالهم التى ضرب فى اليأس عن الشيء وعدم ترجى حدوثه:

- حتى يؤوب المنخل:

وقيل المنخل هو القارظ العنزى.

قال النمر بن تولب:

فقولى إذا ما أطلقوا عن بعيرهم ∴ تلاقونه حتى يؤوب المنخل[3]

- حتى يشيب الغراب:

قال النابغة الجعدى:

فإنك سوف تحلم أو تناهى ∴ إذا ما شبت أو شاب الغراب[4]

- إذا ما القارظ العنزى آبا:

قال بشر بن أبى خازم لابنته عند موته:

فرِّجى الخير وانتظرى إيابى ∴ إذا ما القارظ العنزى آبا[5]

---

(1) الميدانى ج440/3، المستقصى ج429/1، 430.
(2) المستقصى ج429/1، الجمهرة ج136/1.
(3) المستقصى ج58/2، الجمهرة ج292/1، تمثال الأمثال ص 418.
(4) المستقصى ج59/2، فصل المقال ص 474، تمثال الأمثال ص 422.
(5) الميدانى ج129/1، المستقصى ج128/1ن الدرة الفاخرة ج282/1، الجمهرة ج103/1، 104.

obeikandi.com

- لا أتيك حتى يؤوب القارظان:

القارظ الذى يجتنى القرظ، ويقال: هذان القارظان كانا من عنزة خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا.

قال أبو ذؤيب:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ∴ وينشر فى القتلى كليب بن وائل[1]

- لا أفعل ذلك ما أرزمت أم حائل:

والحائل الأنثى من أولاد الإبل، وإنما خصت لأن حنين الإبل إليها أشد منه إلى السقب.

قال أبو ذؤيب:

فتلك التى لا يبرح القلب حبها ∴ ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل

- لا أفعل ذلك ما أطت الإبل:

والأطيط: كالإرزام.

قال الأعشى:

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا ∴ ولست ضائرها ما أطت الإبل

- لا أفعل ذلك ما بل بحر صوفة:

قال المهلهل:

ما بل بحر كفا بصوفتها ∴ وما أناف الهضاب من حضن

- لا أفعل ذلك ما حنت النيب:

(1) الميدانى ج152/2، المستقصى ج128/1.، الدرة الفاخرة ج281/1، الجمهرة ج103/1.

obeikandl.com

قال عدى بن زيد:

لا يستفيق الدهر من شربها ∴ ما حنت النيب إلى النيب[1]

●لا أفعل ذلك ما لألأت الغور:

أى ما حركت الظباء أذنابها: قال خداش بن زهير:

لا يبرحون على أبواب ملامة ∴ يعارزون بها ما لألأ الغور

أى ما حركت الظباء أذنابها[2].

هذه هى بعض الأمثال التى جاءتنا عن العرب لتدل على صبرهم وقوة تحملهم وعدم يأسهم، وقد جاءت معبرة عن بيئتهم وواقع حياتهم فصورتها أصدق تصوير.

❖❖❖

الجود والبخل

يعتبر الجود أو الكرم من أهم الأخلاق الاجتماعية عند العرب فى الجاهلية، ولذلك كانوا كثيراً ما يُمدحون بكرمهم وجودهم، فأصبح الجود سجية من سجاياهم، وذلك لأنهم يرون أن البخل لا يخلد ذكر صاحبه وإنما الذى يخلده هو الجود والكرم، ولذلك جاءت أمثالهم ترغب فى المواساة بالمال وعمل المعروف وتقديم يد العون والمساعدة لمن يحتاجها سواء طلب ذلك أم لم يطلب، فقالوا:

- لا يذهب العرف بين الله والناس:

يقول الحطيئة:

---

(1) المستقصى ج245/2: 247.
(2) السابق ج250/2، 251.

obeikandl.com

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ∴ لا يذهب العرف بين الله والناس[1]

ولذلك نجدهم قد ذموا من بخل باللبن على المحتاج إليه من ضيف أو غيره، فجاء مثلهم:

- شر اللبن الوالج:

وهو من قول الحارث بن حلزة:

واصبب لأضيافك ألبانها ∴ فإن شر اللبن الوالج

فهو يحث على بذل اللبن وتقديمه للضيف وإيثاره على النفس والولد، فالمثل يضرب فى الحث على الإحسان إلى الناس، وتقديم الخير والعون لهم[2].

وقد ظهر فى العصر الجاهلى الكثير من الرجال الذين كانوا مثلاً يقتدى بهم فى الجود والكرم، فضربت بهم الأمثال لجودهم وكرمهم فجاء مثلهم:

- أجود من حاتم:

ومما يدل على جوده وكرمه ما روته امرأته أنها قالت: أصاب الناس سنة أكلت الخف والظلف فبتنا نحن ليلة بأشد الجوع آخذ هوعديا وأنا سفانة فعللهما إذا بامرأة تقول: يا أبا سفانة! أتيتك من عند صيبة جياع، فذبح فرسه، ثم قال: إن ذلك للؤم إن تشبعوا وأهل الصرم جياع، فقام يأتى الصرم بيتاً بيتاً، فقال: حى هلا النار فلم يتركوا من الفرس شيئاً، وهو مقنع بكسائه وقد قعد حجرة ما ذاق شيئا. قال :

---

(1) العقد الفريد لابن عبد ربه ج136/3، تمثال الأمثال ص 540، 541.
(2) الميدانى ج169/2، المستقصى ج129/2.

على حالة لو إن فى القوم حاتما

على جوده ما جاد بالماء حاتم[1]

وقال عنه بشر بن أبى خازم:

وان رأيت كابن سعد رجلاً ∴ فى الناس أندى راحة وأكملا

وقال الخطيئة:

مجدا يجوز حاتم وعقلا ∴ وكلما ما مثله وبذلا[2]

ولا شك أن فيما ذكرت دلالة واضحة على كرم حاتم و جوده.

- أجود من كعب:

هو ابن مامة الإيادى وكان إذا جاوره أحد فمات وداه، وإن هلك له مال أخلف عليه، وفعل ذلك بأبى دؤاد حين جاوره حتى صارت العرب إذا حمدت جاراً أى مجيراً. قالوا: كجار أبى دؤاد، قال قيس بن زهير:

أطوف وما أطوف ثم أوى ∴ إلى جار كجار أبو دؤاد

وقال أعشى بن شيبان:

أقلّ فعلاً يوما ببخل ∴ على السؤال من كعب بن مامة[3]

- أجود من هرم:

هو هرم بن سنان بن أبى حارثة، وقد سار بذكر جوده المثل. قال زهير:

إن البخيل ملوم حيث كان ∴ ولكن الجواد على علاته هرم

---

(1) المستقصى ج53/1، 54، تمثال الأمثال ص 126، الدرة الفاخرة ج126/1.
(2) الميدانى ج236/1، الجمهرة ج272/1، 273..
(3) الميدانى ج327/1، 328، المستقصى ج54/1، 55، الدرة الفاخرة ج129/1، كتاب الأمثال لأبى فيد السدوسى ص 73.

obeikandl.com

هو الجواد الذى يعطيك نائلة ∴ عفوا ويظلم أحيانا فيظلم[1]

هذا عن أمثالهم فى الجود والكرم، أما عن أمثالهم فى البخل فقد قالوا:

- أبخل من مادر:

وهو رجل من بنى عامر بن صعصعة سقى أبله، ثم سلح فى فضلة بقيت فى أسفل الحوض ومدره بها لتعافه إبل غيره. بخلا أن تشرب منه، وفيه يقول الشاعر:

لقد جللت خزيا هلال بن عامر ∴ بنى عامر طرا بسلحة مادر

فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها ∴ بنى عامر أنتم شرار المعاشر[2]

- أبخل من الحباحب:

ويروى أبى الحباحب. وهو رجل من العرب، كان لا يوقد نارا لئلا يتضيف ولا يقتبس منها وان أوقدها ثم أحس بأحد أطفأها – وذكر خالد ابن كلثوم أن أبا حباحب رجل بخيل كان يخفى ناره خوفا من الأضياف، فضربت به الأمثال. قال النابغة:

تقد السلوقى المضاعف نسجه ∴ ويوقدن بالصفاح نار الحباحب[3]

ومن أمثالهم فى البخل أيضا:

- قد يضرط العير والمكواة فى النار:

ويضرب مثلا للبخيل يعطى على الخوف.

---

(1) الميدانى ج236/1، المستقصى ج55/1، 56، الجمهرة ج2745/1، تمثال الأمثال ص 130، الدرة ج131/1، أشهر الأمثال ص 140.
(2) الميدانى ج131/1، الدرة الفاخرة ج86/1: 89، المزهر للسيوطى ج504/1.
(3) المستقصى ج11/1، الدرة الفاخرة ج179/1، 180، المزهر ج506/1.

obeikandl.com

قال العديل بن فرخ:

أصبحت من حذر الحجاج منتحيا

كالعير يضرط والمكواة فى النار[1]

هذه هى بعض أمثال الشعراء الجاهليين التى صورت لنا كرم هؤلاء القوم وجودهم، كما صورت لنا بخلهم وشحهم فجاءت تعبيراً صادقاً من واقع حياتهم وتصويراً دقيقاً لبيئتهم وما يسود فيها من جود وبخل.

الرضا والقناعة

من يتتبع أمثال الشعراء الجاهليين يجد أنها تدعو إلى الرضا والقناعة بما قُدِرَ للإنسان، فمن أمثالهم التى تدعو إلى القناعة والرضا بالمقسوم قولهم:

- حسبك من غنى شبع ورى:

أى اقنع من الغنى بما يشبعك ويرويك، وجدّ بما فضل، أو زاد عن حاجتك، وهذا المثل لامرئ القيس يذكر معزى كانت له فيقول:

إذا لم تكن إبل معــزى ∴ كأن قرون جلتها العصــى

فتملا بيتنا أقطاً وسمناً ∴ وحسبك من غنى شبع وريِّ

قال أبو عبيدة: وهذا يحتمل معنيين: أحدهما يقول: أعط كل ماكان لك وراء الشبع والرى، والأخر: القناعة باليسير، يقول اكتفى به، ولا تطلب ما سوى ذلك. وذكر الزمخشرى: أن المثل يضرب فى القناعة[2].

---

(1) الجمهرة ج104/2، 105، تمثال الأمثال ص 296، الفاخر ص 71، ص 154، الدرة الفاخرة ج321/1.

(2) الميدانى ج248/1، الجمهرة ج305/1، المستقصى ج63/2، تمثال الأمثال، ص424.

obeikandi.com

- رضيت من الغنيمة بالإياب:

أول من قاله امرؤ القيس بن حجر فى بيت له وهو قوله:

وقد طوفت فى الأفاق حتى ∴ رضيت من الغنيمة بالإياب

ويضرب عند القناعة بالسلامة[1].

وقال عبيد بن الأبرص:

ولولا لاقيت علياء بن عمرو ∴ رضيت من الغنيمة بالإياب

ويضرب لمن أشفى فى طلب الحاجة على الهلكة فهو يرضى بالنجاة خائباً[2].

- رب ساعٍ لقاعد:

أى أنه قد يأتيك ما قدر لك دون السعى إليه، وقد ذكر الزمخشرى أن النابغة أول من قاله، حيث يقول:

أتى أهله منه حباء ونعمة ∴ وربُّ امرئ يسعى لآخر قاعد

وذلك أن رجلاً اسمه شفيق مات عند النعمان من بين وفود أتته، فأعطى الوفود وأنفذ نصيبه إلى أهله[3].

أما الميدانى فيروى معه "آكل غير حامد". وذكر أنه يقال أن أول من قاله النابغة الذبيانى. وذكر البيت السابق.

ويروى "اسلمى أم خالد، رب ساع لقاعد". وقالوا: إن أول من قال ذلك معاوية بن أبى سفيان[4].

---

(1) الميدانى ج38/2، العقد الفريد ج126/3.
(2) المستقصى ج101/2، الجمهرة ج394/1، الفاخر ص 261، أشهر الأمثال ص 75.
(3) المستقصى ج95/2، فصل ج272/1، 273.
(4) الميدانى ج45/2: 47، الفاخر ص 175، 176.

obeikandl.com

وذكر صاحب الجمهرة أن المثل ليزيد بن معاوية. أما الشيبى فقد أضاف لما سبق أنه قد ذكره ذو الإصبع العدوانى فى قوله:

وساع برجليه لآخر قاعد ∴ ومعط كريم ذو فعال ومانع[1]

وفى مقابل الرضا والقناعة كان العرب يعتبرون الطمع والجشع من أسباب الذل والمهانة، ولذلك جاءت أمثالهم تنفر منه فقالوا:

- تقطع أعناق الرجال المطامع:

ويضرب فى ذم الطمع والجشع. وأوله هو قول البعيث:

طمعت بليلى أن تريع وإنما ∴ تقطع أعناق الرجال المطامع[2]

ويضرب فى مذلة الطمع.

وكذلك يعدون الشراهة فى الأكل وحب الطعام من أقبح صور الطمع وأرذلها والعرب يستنكرون هذا الخلق، ولذلك جاء مثلهم:

- رب أكلة تمنع أكلات:

ويُضرب فى ذم الحرص على الطعام، وأول من قال ذلك عامر بن الظرب العدوانى حيث يقول:

ورب أكلة منعت أخاها ∴ بلذة ساعة أكلات دهر[3]

- البطنة تذهب الفطنة:

يضرب فى ذم الرغب والشره، قال الأعشى:

"يا بنى منذر بن عبدان والبطـ ∴ ـنة يوما تسفه الأحلاما"[4]

---

(1) الجمهرة ج390/1، تمثال الأمثال ص 439، 440.
(2) الميدانى ج351/1، المستقصى ج30/2، فصل المقال ص 408، الجمهرة ج223/1، 224.
(3 الميدانى ج41/2، 42، الجمهرة ج399/1، المستقصى ج93/2، 94، الفاخر ص 174.
(4) المستقصى ج304/1.

obeikandl.com

تلك هى بعض الأمثال التى وردت عن العرب على ألسنة الشعراء الجاهليين لتبين لنا قناعتهم ورضاهم بما قدر لهم، وإن رزق الإنسان سوف يأتيه وإن لم يسعَ هو إليه، وكذلك تحذر من الطمع والجشع بأشكاله المتعددة لما فى ذلك من ذل ومهانة يرفضها العربى.

❖❖❖

الحلم والحكمة

الحلم والحكمة من الأخلاق الكريمة التى يتصف بها السادة ورؤساء القبائل، فالحلم هو الأناة والتعقل والتثبت فى الأمور، والحكمة هى الرزانة وعدم التسرع، والتحكم فى النفس، وقد اشتهر من العريق فى الجاهلية رجال ونساء عرفوا بحلمهم وحكمتهم، ولذلك كانوا مضرب المثل فى الحلم والحكمة، ومن أمثالهم فى ذلك:

- أحلم من الأحنف:

وهو الأحنف بن قيس وكان حليماً موصوفاً بذلك حكيماً معترفاً له به وعندما سئل. هل رأيت من هو أحلم منك؟ قال: نعم، وتعلمت منه الحلم. قيل: ومن هو؟ قال: قيس بن عاصم المنقرى، وهو الذى يقول:

إنى امرؤ لا يعترى خُلقى ∴ دنس يفنده ولا فنن

من منقر من بيت مكرمة ∴ والغصن ينبت حوله الغصن[1]

- أحلم ممن قرعت له العصا:

قيل هو عامر بن الطرب العدوانى، وقيل هو ربيعة بن مجاشن

(1) الميدانى ج390/1، 391، المستقصى ج70/1، 71، الفاخر ص 298، الدرة الفاخرة ج124/1، 125، الجمهرة ج328/1.

التميمى، وقيل هو عامر بن مالك بن ضبيعة القيسي، وقيل هو عمرو ابن حممة الدوسى، وقيل مسعود بن خالد ذو الجدين الشيبانى.. قال المتلمس:

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا

وما علم الإنسان إلا ليعلما

وجاء فى فصل المقال للبكرى: ويقال فى أكثم بن صيفى، ويقال أول من قرعت له العصا. سعد بن مالك الكنانى[1].

- إن العصا قرعت لذى الحلم:

قيل إن أول من قرعت له العصا عمرو بن مالك أخو سعد بن مالك الكنانى، وكان ذلك وهما عند النعمان بن المنذر، وقال سعد بن مالك يذكر قرع العصا.

قرعت العصا حتى تبين صاحبى

ولم تك لولا ذلك فى القوم تقرع

وقيل هو أكثم بن صيفى، ويضرب المثل فى تنبيه الرجل على الشيء، وإن كان فطناً ذا شهامة. قال:

وزعمت أن لا حلوم لنا ∴ إن العصا قرعت لذى الحلم

هذا قول بعضهم، وقال آخرون فى قولهم "أن العصا قرعت لذى الحلم " إن ذا الحلم هذا هو عامر بن الظرب العدوانى، وكان من حكماء العرب ولا تعدل بفهمه فهما ولا يحكمه حكما.

(1) المستقصى ج280/2، 281، الجمهرة ج328/1، فصل المقال للبكرى ص 148.

obeikandl.com

وقال ابن الإعرابى: أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدوانى. وربيعة تقول: بل هو قيس بن خالد ذى الجدين وتميم تقول: بل هو ربيعة بن مجاشن أحد بنى أسيد بن عمرو ابن أبى تميم.

واليمن تقول: بل هو عمرو بن حممة الدوسى.

قال: وكانت حكام تميم فى الجاهلية أكثم بن صفى، وحاجب بن زرارة، والأقرع بن حابس وربيعة بن مجاشن وضمرة بن أبى ضمرة.

وحكام قيس: عامر بن الظرب، وغيلان بن سلمه الثقفى وحكام قريش، عبد المطلب، وأبو طالب، والعاص بن وائل.

وحكيمات العرب: صخر بنت النعمان، هند بنت الخس وجمعة بنت حابس، وابنة عامر بن الظرب الذى يقال له "ذو الحلم"[1].

وهكذا نجد أن الرواة قد اختلفوا اختلافاً كبيراً حول من قرعت له العصا، لاتصافه بالحلم والحكمة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل دلالة واضحة على كثرة عدد هؤلاء الذين اتصفوا بالحلم والحكمة فى ذلك الوقت.

- أحكم من زرقاء اليمامة:

قال النابغة فى زرقاء اليمامة يخاطب النعمان:

أحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت

إلى حمام سراع وارد الثمد

(1) الميدانى ج62/1: 65، المستقصى ج408/1، الدرة الفاخرة ص 163، 164، والمعمرون والوصايا لأبى حاتم السجستانى ص 58.

obeikandl.com

قال بعض أصحاب المعانى: إن النابغة لما أراد مدح هذه الحكيمة الحاسبة بسرعة أصابتها عدد الأمر وضيقه ليكون أحسن له وهو يريد أن يقول أى كن حكيما كحكمتها[1]. فأحكم هنا مأخوذة من الحكمة.

- أرسل حكيماً ولا توصه:

لأنه يعرف بحكمته ما فيه صلاحك ، فهو مستغن بحكمته عن الوصية والمثل للزبير بن عبد المطلب فى أبيات له معروفة أولها:

إذا كنت فى حاجة مرسلاً ∴ فأرسل حكيماً ولا توصه[2]

ولحلمهم وحكمتهم فقد عرفوا أن فعل الخير أو المعروف لا يضيع أجره، فإن ضاع عند الناس فلن يضيع عند الله، فالمعروف لا يصدر إلا من حكيم أو حليم متصف بالحلم والحكمة والأناة، ولذلك جاء مثلهم: " لا يذهب العرف بين الله والناس".

وقد سبق الحديث عن هذا المثل، ولذلك نجد أن من هؤلاء الحكماء من كانوا على قدر كبير من البلاغة والفصاحة، وذلك لما لهم من قدرة فائقة فى الإقناع عن طريق خطبهم البليغة المؤثرة فجاءت أمثالهم:

- أبلغ من قس:

وهو قس بن ساعدة الإيادى، وكان من حكماء العرب، وأعقل من سمع به منهم فيقول الأعشى:

أبلغ من قس وأجرى من الذى ∴ بذى الغيل من خفان أصبح خادرا

---

(1) الميدانى ج395/2، المستقصى ج69/1، الدرة الفاخرة ج162/1، 163، جمهرة الأمثال ج327/1، ديوان النابغة ص 23.
(2) الميدانى ج52/2، جمهرة الأمثال، ج83/1، المستقصى ج140/1

obeikandi.com

وجاء فى "المعمرون والوصايا" وأحكم من قس وأجرأ من الذى...

وقال الحطيئة:

وأبلغ من قس وأمضى إذا مضى

من الريح إذ مس النفوس نكالها

وهو أول من خطب متكئا على عصا، وكان حكيماً بليغاً[1].

- أبلغ من سحبان وائل:

وكان قد خطب فى صلح بين حيين شطر يوم فما أعاد كلمة وهو القائل:

لقد علم الحى اليمانون أنني

إذا قلت أما بعد أنى خطيبها

وهو رجل من باهلة، وكان من خطباء العرب وبلغائها[2].

وهكذا يتضح لنا أن هذه الأمثال قد جاءت من واقع بيئتهم، ونتيجة لتجاربهم الشخصية وسيرتهم الذاتية فى قومهم فعرفوا بصفات تفردوا بها على غيرهم فكانت مضرب المثل فى الحلم والحكمة والبلاغة وغيرها من الصفات التى اتصفوا بها.

❖❖❖

(1) الميدانى ج295/1، المستقصى ج29/1، الدرة الفاخرة ص 91، 92، المعمرون والوصايا ص 87، اللسان "خدر".
(2) المستقصى ج28/1، جمهرة الأمثال ج202/1، الدرة الفاخرة ج90/1، 91.

obeikandl.com

علاقة المرء بالأهل والأصدقاء

إننا لو نظرنا لأمثال الشعراء الجاهليين لوجدنا أن جانباً كبيراً منها جاء ليصور ويبين لنا العلاقة التى كانت قائمة بين المرء وبين أهله من الأخوان والأصدقاء.

ومن أعظم صور تلك العلاقة وأجلها إعجاب المرء بأهله وعشيرته، ومن أمثالهم فى ذلك:

- كل فتاة بأبيها معجبة:

ويُضرب فى عُجب الرجل برهطه وعشيرته، وذكر الميدانى أن أول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدى[1].

وهذا المثل يرويه بعضهم للأغلب العجلى فى شعر له وهو قوله:

فانصرفت وهى حصان مغضبة ∴ ورفعت من صوتها هيا أبه

كل فتاة بأبيها معجبة[2].

وكذلك كان هناك نوع من التشابه بين الأب وأبنائه، ولذلك جاء مثلهم:

- من أشبه أباه فما ظلم:

ويضرب مثلاً فى تقارب الشبه، ومعناه من أشبه أباه فقد وضع الشيء فى موضعه، والمثل قديم حكاه كعب بن زهير فى بعض شعره حيث يقول:

فقالت شبيهات بما قال عالم ∴ بهن ومن يشبه أباه فما ظلم

---

(1) الميداني ج309/3، الفاخر ص 253، أشهر الأمثال ص 102.
(2) فصل المقال ص 218.

obeikandl.com

وأنشد الطوسى:

أقول كما قد قال قبلى عالم ∴ بهن ومن أشبه أباه فما ظلم[1]

ومن صور الإعجاب بالأهل أيضاً إيثارهم وتفضيلهم على غيرهم على الرغم مما يقع منهم من ضرر وأذى، ولذلك جاء مثلهم:

- آكل لحمى ولا أدعه لآكلِ:

أول من قاله العيّار بن عبد الله الضبى، وذلك أن ضرار بن عمرو وأبا مرحب اليربوعى اختصما عن النعمان فنصر العيار ضراراً، وكانت ذات بينهما غير صالحة، إلا أنه من أسرته، فقال النعمان: أتنصره وهو مناوئ لك؟ فقال: آكل لحمى ولا أدعه لآكل فصارت مثلاً.

والمثل قول الممزق العبدى:

فإن كنتُ مأكولا فكن خير أكل ∴ وإلا فأدركنى ولما أمزق[2].

ومن تلك الصور التى تدل على إيثار المرء لأهله وعشيرته وتفضيلهم على نفسه ما كان بين جذيمة الأبرش وابن أخته عمرو بن عدى حين فضل عمرو خاله عليه عندما كان يؤثره بخيار ما عنده، يدلنا على ذلك مثله:

- **هذا جناى وخياره فيه:**

فالمثل لعمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الأبرش وأصله أن جذيمة أمر الناس أن يجتنوا له من الكمأة فكل من وجد خياراً آثر به نفسه إلا

---

(1) المستقصى ج352/2، 353، الميدانى ج312/3، جمهرة الأمثال ج1999/2، الأمثال لأبى عكرمة الضبى تحقيق د/رمضان عبد التواب ص 67، الفاخر للمفضل ابن سلمة، ص102.

(2) المستقصى ج7/1، جمهرة الأمثال ج109/1، الميدانى ج70/1، الفاخر ص 68، 69، فصل المقال ص213.

ابن أخته عمرو بن عدى فكان يقول:

هذا جناى وخياره فيه ∴ إذ كل جان يده إلى فيه[1]

وقد تمادى أهل الجاهلية فى نصرة إخوانهم سواء كانوا ظالمين أو مظلومين يدلنا على ذلك مثلهم:

- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما:

قال المفضل: أول من قال ذلك جندب بن العنبر بن تميم حيث يقول:

يا أيها المرء الكريم المشكوم ∴ أنصر أخاك ظالماً أو مظلوم

وقال النابغة الذبيانى:

حدبت علىَّ بطون ضبة كلها ∴ إن ظالما فيهم وإن مظلوماً

وأراد النابغة أنهم ينصرونه فى الحالتين ظالماً أو مظلوماً[2]

وجاء فى الجمهرة للعسكرى: أن مذهب أهل الجاهلية أن ينصروا قرناءهم وجيرانهم وأصدقاءهم محقين كانوا أو مبطلين، وفى هذا المذهب يقول الزاجر:

إن أخاك الصدق الذى يسعى معك

ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا صرف زمان صدعك

شتت شمل نفسه ليجمعك

وإن غدوت ظالما غدا معك[3]

والى جانب ذلك فقد كان الأخ يلتمس لأخيه العذر، ويلين له إذا

---

(1) الميدانى ج488/3، المستقصى ج386/2، جمهرة الأمثال ج282/2.
(2) الميدانى ج373/3، المستقصى ج392/1، 393.
(3) جمهرة الأمثال ج51/1، 52.

obeikandi.com

تشدد، فالإنسان بطبيعته يخطئ ويصيب، ولذلك فعلى الأخ أن يتحمل أخطاء إخوانه، وان يلين إذا تشددوا، فإنه لو أخذهم أو حاسبهم على كل ما يصدر منهم، فإنه سوف يفقدهم الواحد تلو الأخر، ولذلك جاء مثلهم:

- أى الرجال المهذب:

أول من قاله الذبيانى، حيث يقول:

ولست بمستبق أخا لا تلمه ∴ على شعث أى الرجال المهذب؟[1]

ويضرب للرجل يعرف بالإصابة فى الأمور، وتكون منه السقطة.

- إذا عز أخوك فهن:

ومعناه إذا صعب أخوك فلن، فانك إذا صعبت أيضاً كانت الفرقة[2]، والمثل لهذيل بن هبيرة التغلبى، يقول ابن أحمر:

وبيّت له الضراء وقلت أحرى ∴ إذا عز ابن عمك أن تهونا[3]

وقول عدى بن زيد العبادى:

ألا يا ربما عـــز ∴ خليلى فتهاونـــت

ولو شئت على مقد ∴ رة منى لعاقبت[4]

وإذا كانت الإخوة عندهم بهذه المنزلة وتلك المكانة، فقد كان الفساد الذى يعتريها من المشكلات التى لا يجدون لها حلاً، ولذلك شبهوها بغصة الماء التى لا حيلة للإنسان منها، ولذلك جاء مثلهم:

---

(1) الميدانى ج36/1، المستقصى ج449/1، جمهرة الأمثال ج153/1، فصل المقال ص 44، الفاخر ص 286، تمثال الأمثال ج521/2.
(2) جمهرة الأمثال ج57/1.
(3) الميدانى ج35/1، المستقصى ج125/1.
(4) الميدانى ج101/3، المستقصى ج408/2، جمهرة الأمثال ج167/2، فصل المقال ص 266، العقد الفريد ج103/3.

- لو بغير الماء غصصت:

ويضرب فى ابتلاء الرجل بمن كان يرجو منه الإغاثة والعون يقول عدى بن زيد:

لو بغير الماء حلقى شرق ∴ كنت كالغصان بالماء اعتصارى

أى لو شرق حلقى بشيء غير الماء لاعتصرت بالماء، وكذلك لو كانت مشكلتى مع إنسان بعيد لاستعنت عليها بأحد أقربائى أو أهلى، ولكن ماذا يكون الحل إذا كانت المشكلة مع صديق أو قريب؟ لاشك أن تلك المشكلة ستكون صعبة الحل.

وهكذا يتضح لنا مدى قيمة العلاقة التى كانت تربط المرء بأهله وإخوانه وأصدقائه، فمن صور تلك العلاقة أيضا ما يدل على طول الرفقة والمحبة التى كانت تجمع بين المرء وأصدقائه وإخوانه، فقد جاءت بعض أمثالهم لتبين لنا صور تك العلاقة فقالوا:

- كندمانى جذيمة:

وهما مالك وعقيل، ويقال إنهما اصطحبا منادمة جذيمة الأبرش أربعين سنة، ويضرب هذا المثل فى أخوين طال تصاحبهما، قال متمم ابن نويرة:

وكنا كندمانى جذيمة حقبة ∴ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وقال أبو خراش:

الم تعلمى أن قد تفرق قبلنا ∴ نديما صفاء مالك وعقيل[1]

(1) المستقصى ج234/2، 235، فصل المقال ص 257.

ومن أمثالهم فى طول الصحبة –أيضاً- :

●أطول صحبة من الفرقدين:

يقول عمرو بن معديكرب:

وكل أخ مفارقه أخوه ∴ لعمر أبيك إلا الفرقدان

ويقول لبيد:

وكل أخ مفارقه أخوه ∴ لعمر أبيك إلا ابنى شمام

وقيل إن ابنى شمام هما هضبتان، أو أن شمام جبل له رأسان يسميان ابنى شمام[1].

ومن أمثالهم فى طول الصحبة –أيضاً- :

● أطول صحبة من نخلتى حلوان:

وهما نخلتان بعقبة حلوان من غرس الأكاسرة، وقدم تجاورهما وطال اصطحابهما.

يقول الشاعر:

أسعدنى يا نخلتى حـــلوان ∴ وارثيا لى من ريب هذا الزمان

واعلما إن علمتما أن نحسا ∴ سوف يلقاكما فتفترقـان[2]

❖❖❖

(1) الميدانى ج298/2، ج275/1، المستقصى ج277/1، جمهرة الأمثال ج19/2، الدرة الفاخرة ج287/1، فصل المقال ص 257: 259.

(2) الميدانى ج298/2، 299، جمهرة الأمثال ج20/2، المستقصى ج227/1، 228، الدرة الفاخرة ج87/1، تمثال الأمثال ص 215.

obeikandl.com

العزة وإباء الضيم والذل

المجتمع الجاهلى مجتمع قبلى يقوم على العصبية، ولذلك كان للقوة أثرها فى هذا المجتمع فجعلت منه طبقتين: طبقة قوية وهم الأعزاء الذين يملكون أسباب القوة والمنعة من أصول وأعراق كريمة ورجال وأموال كثيرة.

وطبقة الأذلة وهم الذين لا يملكون شيئا من أسباب المنعة والقوة، وقد جاءت أمثال الشعراء الجاهليين تدعو إلى العزة واباءة الضيم واخذ الحقوق بالقوة وعدم التخاذل والمذلة. ومن تلك الأمثال قولهم:

- من عز بز:

أى من غلب سلب، قاله جابر بن رألان السنبسى لما قرع النعمان يوم بؤسه بينه وبين صاحبه فقرعهما فخلى سبيله فقالت الخنساء:

كأن لم يكونوا حمى يتقى ∴ إذ الناس إذ ذاك من عز بزا[1]

وقيل إن المثل لعبيد بن الأبرص والمعنى أن الغنيمة لمن غلب[2].

- من لا يذد عن حوضه يهدم:

وهو من قول زهير:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ∴ يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

يضرب فى تهضم غير المدافع عن نفسه[3].

أما الأشخاص الذين ضربت بهم الأمثال فى العزة والمنعة فهم

---

(1) الميدانى ج323/3، المستقصى ج257/2، الفاخر ص 89، 90، ديوان الخنساء شرح وتقديم إسماعيل اليوسف، ص 88، منشورات دار الكتاب العربى، دمشق، سوريا.
(2) جمهرة الأمثال ج229/2.
(3) المستقصى ج359/2.

obeikandl.com

كثيرون، نذكر منهم كليب وائل، أم البنين، وابن مزيقاء، الأشعث.. وغيرهم، وجاءت أمثالهم لتدل على ذلك فقالوا:

- أعز من كليب وائل:

وهو كليب بن ربيعة بن الحارث، وكان سيد ربيعة فى زمانه، وقد بلغ من عزه أنه كان يحمى الكلأ فلا يقرب حماه، ويجير الصيد فلا يهاج، وكان من عزه لا يتكلم أحد فى مجلسه.

يقول النابغة الجعدى:

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا ∴ وأيسر جرما منك ضرّج بالدم[1]

ولما كان لوفرة المال وكثرة الرجال أثرهما فى العزة، والمنعة، فقد جاء مثلهم:

- أنجب من أم البنين:

لكثرة إنجابها للرجال الأعزاء، وهى بنت عمرو بن عامر، فارس الضحياء. يقول لبيد يفتخر بها:

نحن بنو أم البنين الأربعة[2]

- أعظم فى نفسه من ابن مزيقاء:

وهو عمرو بن عامر مزيقاء من ولد ملوك جفنه، ولقد لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلة، وإذا أمسى مزقها واستبدل أخرى.

قال حسان بن ثابت:

---

(1) الميدانى ج388/2، الدرة الفاخرة ج300/1، جمهرة الأمثال ج57/2، كتاب الأمثال لأبى فيد السدوسى تحقيق د/رمضان عبد التواب ص 73.
(2) المستقصى ج382/1، 383، الدرة الفاخرة ج411/2، أشهر الأمثال ص 158.

obeikandi.com

أنا ابن مزيفياء عمرو وجدى ∴ أبوه عامر ماء السماء[1]

●أوفر فداء من الأشعث:

وهو قيس بن معدى يكرب الكندى أُسِر ففدا نفسه بثلاثة آلاف بعير، وإنما كان فداء الملك ألف بعير.

قال عمرو بن معد يكرب:

فكان فداؤه ألفى قلوص ∴ وألف من طريفات وتلد[2]

ومن ناحية أخرى تدل أمثال الشعراء الجاهليين على أنهم كانوا يحتقرون الذليل ويمتهنونه. يدلنا على ذلك تشبيههم له بكل ضعيف ممتهن من الحيوان والنبات والجماد، فجاءت أمثالهم:

- أذل من حمار مقيد:

قال المتلمس:

إن الهوان حمار الحى يعرفه ∴ والحر ينكره والجرة الأجد

وما يقيم بدار الذل يعرفها ∴ إلا الأذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ∴ وذا يشج فما يبكى له أحد[3]

- أذل ممن بالت عليه الثعالب:

هذا مثل يضرب للشيء يستذل، ويضرب مثلا للرجل المهين يظلم فلا ينتصر، قال حميد بن ثور:

---

(1) المستقصى ج249/1، الدرة الفاخرة ج313/1.
(2) المستقصى ج432/1.
(3) الميدانى ج18/2، ج471/3، الدرة الفاخرة ج303/1، 304، المستقصى ج133/1.

obeikandl.com

ألم تر ما بينى وبين ابن عامر

من الود قد بالت عليه الثعالب[1]

وقال أبو ذر الغفارى – رحمه الله – :

أرب يبول الثعلبان برأســـــه

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ويكون أيضا مثلا للشيء يدرس ويذهب جدته وحسنه، قال عمرو بن الأهتم:

ألم تر ما بينى وبين ابن عامر

من الود قد بالت عليه الثعالب[2]

- أذل من النعل:

وهو من قول البعيث:

وكل كليبى صفيحة وجهه ∴ أذل على من الهوان من النعل

ويروى أذل لأقدام الرجال من النعل[3].

- زلت به نعله:

ويضرب لمن نكب وزالت نعمته، قال زهير بن أبى سلمى:

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها

وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل[4]

- أذل من السيقان بين الحلائب:

---

(1) الميدانى ج19/2، 20، الدرة الفاخرة ج306/1.
(2) المستقصى ج136/1، جمهرة الأمثال ج378/1.
(3) الميدانى ج20/2، جمهرة الأمثال ج382/1، الدرة الفاخرة ج202/1، 207.
(4) الميدانى ج58/2.

obeikandl.com

وهو من قول قيس بن الخطيم:

ظأرناكم بالبيض حتى لأنتم

أذل من السيقان بين الحلائب[1]

- أذل من فقع بقرقرة:

لأنه لا يمتنع على من اجتناه، ويقال يؤخذ بالأرجل والفقع الكمأة البيضاء. قال النابغة يهجو النعمان:

حدثونى بنى الشقيقة ما يمنع

فقعا بقـــــر قر أن يـــــزولا[2]

وقال أبو جندب الهذلى:

فلا تحسبوا جارى لدى ظل مرخة

ولا تحسبوه فقع قاع بقرقر[3]

وكذلك جاءت أمثالهم عن الحرب وأثرها المدر فى الهلاك والدمار وإذلال القبائل المنهزمة، فقالوا:

- ثل عرشه:

أى زال قيام أمره، قال زهير:

تداركتما عبسا وقد ثل عرشهما ∴ وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل[4]

هذه هى بعض الأمثال التى جاءت على ألسنة الشعراء الجاهليين يستدل بها على أن هؤلاء القوم كانوا يعيشون فى عزة وفى منعة، وأنهم

---

(1) الميدانى ج19/2، المستقصى ج130/1.
(2) الميدانى ج18/2، جمهرة الأمثال ج381/1، الدرة الفاخرة ج204/1، ديوان النابغة الذبيانى ص 170.
(3) المستقصى ج134/1.
(4) الميدانى ج373/3، المستقصى ج392/1، 393.

obeikandl.com

لا يرضون بالذل والهوان ولذلك جاءت أمثالهم تنفر منه.

❖❖❖

الشجاعة والجرأة

لابد للعربى أن يكون شجاعا جريئا فى ركوب الأهوال، واقتحام المخاطر، وإلا فسوف يكون عرضة للانتقام من غيره، وانتهاك حرماته، وسلب حقوقه، ولذلك جاءت أمثالهم لتحثهم على أن يوطنوا أنفسهم على الشجاعة والإقدام، وأن لا يحدثوا أنفسهم عند الخطوب والمصائب بأنهم لا يستطيعونها فان ذلك يثبط همهم عن التغلب عليها ومواجهتها، ولكن يجب أن يحدثوا أنفسهم بالمقدرة حتى يعينهم ذلك على الظفر والفوز، ولذلك جاء فى أمثالهم:

- أكذب النفس إذا حدثتها:

أى حدثها بالظفر وبلوغ الآمال إذا هممت بأمر لتنشطها للإقدام ولا تناغها بالخيبة فتثبطها، ويضرب المثل فى الحث على الجسارة.

قال لبيد:

وأكذب النفس إذا حدثتها ∴ إن صدق النفس يرزى بالأمل[1]

وكذلك جاءت أمثالهم لتبين لنا أن الشجاع دائماً محمى الجانب يخشاه الجميع ويهابونه. فقالوا:

- الشجاع موقى:

ومعناه أن الذى عرف بالشجاعة والإقدام يتحاماه الناس هيبة له،

(1) الميدانى ج17/3، المستقصى ج289/1، جمهرة الأمثال ج46/1، 47، فصل المقال ص 173.

obeikandl.com

ومنه قول الزبرقان بن بدر:

تعدوا الذئاب على من لا كلاب له

وتتقى مريض المستنفر الحامى[1]

وكذلك جاءت أمثالهم لتحذر من الجبن والخوف فقالوا:

- إن الجبان حتفه من فوقه:

أى أن الحتف إلى الجبان أسرع منه إلى الشجاع، لأنه يأتيه من حيث لا مدافع له، ويضرب فى قلة نفع الحذر من القدر.

وأول من قاله عمرو بن مامة فى شعر له. وهو قوله:

لقد حسوت الموت قبل ذوقه ∴ إن الجبان حتفه من فوقه[2]

- كل أزب نفور:

ويضرب مثلا للرجل ينفر من كل شيء، والأزب هو البعير الكثير الوبر، يرى طول شعره على عينيه فيحسه شخصا فهو نافر أبدا، ولذلك يضرب فى عيب الجبان.

قال النابغة:

أثرت الغى ثم نزعت عنه ∴ كما حاد ألازب عن الطعان

وقال زيد الخيل:

فحاد عن الطعان أبو أثال ∴ كما حاد الأزب عن الظلال[3]

وكذلك تجدهم قد حقروا من شأن الضعيف لضعفه وهوانه، إذا أرادوا أن ينفوا الضعف عنه قالوا:

---

(1) جمهرة الأمثال ج442/1، فصل المقال ص 172.
(2) الميدانى ج14/1، جمهرة الأمثال ج96/1، المستقصى ج403/1، فصل المقال ص439.
(3) الميدانى ج7/3، المستقصى ج396/1، جمهرة الأمثال ج129/2، تمثال الأمثال ص515.

obeikandl.com

- لم ينتعل بقبال خذم:

قال الأعشى:

أخو الحرب لا ضرع واهن ∴ لم ينتعل بقبال خـــذم

ويضرب للرجل ينفى عنه الضعف[1].

وقالوا عن المفكر الداهى فى الأمور:

- أطرق إطراق الشجاع:

يعنى الحية، ويضرب للمفكر الداهى فى الأمور.

قال المتلمس:

وأطرق إطراق الشجاع ولو رأى ∴ مساغا لنابيه الشجاع لصمما[2]

ولما كان الأسد من أشجع الحيوانات فى البيئة الجاهلية ضربوا به المثل فى الشجاعة والإقدام. فقالوا:

- أجرا من أسامة:

يقول زهير بن أبى سلمى:

ولانت أشجع من أسامة إذ ∴ دعيت نزال ولج فى الذعر

وقال عمران بن حطان:

فهناك مجزأة بن ثور ∴ كأن أشجع من أسامة[3]

- أجرأ من ليث بخفان:

قالت ليلى الأخيلية:

---

(1) الميدانى ج148/3.
(2) الميدانى ج284/2.
(3) الميدانى ج327/1، المستقصى ج45/1، 46، جمهرة الأمثال ج266/1، الدرة الفاخرة ج107/1، ص 116.

obeikandl.com

وتوبة أحيا من فتاة حيية ∴ وأجرأ من ليث بخفان خادر

وقال متمم بن نويرة:

وأجرأ من ليث بخفان مخدر ∴ وأفضل إن عىّ الرجال كلاماً[1]

وقالوا أيضاً:

- حاطونا القصا:

ويضرب للمتخاذل المتنحى عن نصرك.

قال بشر:

فحاطونا القصا ولقد رأونا ∴ قريباً حيث يستمع السرار.

أى تباعدوا عنا وهم حولنا ولو أرادوا أن يدنوا منا ما كنا بالبعد عنهم. والقصا: البعد والناحية[2].

هذه هى بعض أمثال الشعراء الجاهليين التى جاءت على ألسنتهم لتدلنا على ما اتصفوا به من شجاعة وجرأة وأقدام. وقد جاءت من واقع بيئتهم الجاهلية.

❖❖❖

الصدق وحسن الظن

هناك الكثير من أمثال الشعراء الجاهليين التى جاءت لتبين لنا قيمة الصدق فى الحياة وحسن الظن، فالإنسان العالم بالأمور هو الذى يظن الظن فيكون ما يظنه ويتوقعه ومن أمثالهم فى ذلك:

---

(1) الميدانى ج372/1، المستقصى ج48/1، الدرة الفاخرة ج236/1.
(2) الميدانى ج378/1، المفضليات ص 341.

obeikandl.com

- إنه لألمعى:

يُضرب للرجل المصيب بظنونه، كأنه لمع له ما أظلم على غيره، واشتقاق الألمعى من اللمعان كأن الأمور تلمع له وتبين، وكأن مغيبها يشف له ويظهر.

قال أوس بن حجر:

الألمعى الذى يظن بك الظن ∴ كأن قد رأى وقد سمعا[1]

- إنه لنقاب:

يعنى به العالم لمعضلات الأمور أو الرجل الفطن الذكى الفهم، وأصل هذه الصفة من التنقيب فى البلاد والتجريب للأمور، ومن قول أوس بن حجر:

جواد كريم أخو ماقط ∴ نقاب يحدث بالغائب[2]

- على ما خيلت:

أى افعل ذلك على ما أرتك نفسك أو وهمتك من سهولة وصعوبة، قال زهير:

تراهم ما خيلت هم إزاءها

وإن أهلك الناس الجماعات والأزل

ويضرب فى إيجاب الفعل[3].

ومن أمثالهم فى الصدق:

- أصدق ظناً من ألمعى:

---

(1) الميدانى ج55/1، 56، فصل المقال ص 149، 150.
(2) الميدانى ج27/1، 28، المستقصى ج423/1، فصل المقال ص 142، 143.
(3) المستقصى ج166/2

obeikandl.com

وهو الذى يظن فلا يخطئ واشتقاقه من لمعان النار وتوقدها، يقول أوس بن حجر:

الألمعى الذى يظن بك الظن ∴ كأن قد رأى وقد سمعا[1]

- أصدق من قطاة:

وذلك لأن صوتها حكاية لاسمها تقول: قطا قطا: والعرب سمتها الصدوق، لأن لها صوتاً واحداً لا تغيره، يقول النابغة:

تدعو القطاة وبه تدعى إذا نسبت ∴ يا صدقها حين يلقاها فتنتسب[2]

- القول ما قالت خذام:

أى القول السديد المعتد به ما قالته خذام وهى امرأة اللجيم بن صعب ولد حنيفة وعجل، ابنى لجيم، ويضرب المثل فى التصديق، وفيها قال لجيم بن صعب:

إذا قالت خذام فصدقوها ∴ فإن القول ما قالت خذام[3]

- وعند جهينة الخبر اليقين:

ويروى جفينة:

وقيل إن حصين بن عمرو بن معاوية الكلابى خرج ومعه رجل من جهينة يدعى الأخنس فقتل الجهينى الكلابى، وكانت أخته صخرة تبكيه فى المواسم، وقيل هى امرأته، فقال الأخنس:

---

(1) الميدانى ج248/2، المستقصى ج205/1، 206، جمهرة الأمثال ج479/1، الدرة الفاخرة ج266/1، ديوان أوس بن حجر ص 53 تحقيق د/محمد يوسف نجم.

(2) الميدانى ج247/2، المستقصى ج206/1، الدرة الفاخرة ج265/1، جمهرة الأمثال ج479/1.

(3) الميدانى ج499/2، 500، المستقصى ج340/1، جمهرة الأمثال ج99/2، فصال المقال ص 41، العقد الفريد ج83/3.

obeikandl.com

تساءل عن حصين كل ركب ∴ وعند جهينة الخبر اليقين

ويضرب فى معرفة الخبر[1].

هذه هى بعض الأمثال التى جاءت على ألسنة الشعراء الجاهليين والتى تبين لنا صفة الصدق وحسن الظن.

❖❖❖

تصنيف الأمثال حسب دلالاتها

الأمثال هى خلاصة التجارب والمعارف التى يمر بها الإنسان فى حياته، وهى نابعة من الحياة ذاتها وجذورها مترسخة فيها، ولذلك فهى تتميز ببساطة الألفاظ وعمق الدلالة، وأصالة المعنى. ومن هنا كان لأمثال الشعراء الجاهليين دلالاتها المختلفة التى نذكر منها:

- **دلالة اجتماعية:**

وتتمثل تلك الدلالة فى القيم الاجتماعية التى كانت سائدة فى المجتمع فى ذلك الوقت، والتى جاءت الأمثال لتبينها وتوضحها، ومن تلك القيم: الوفاء والغدر، والجود والبخل، والشجاعة والجبن، والعزة والمنعة، والظلم والذل، والقناعة والطمع، والصدق والحلم والحمق.. وغيرها من القيم الاجتماعية التى كانت سائدة فى المجتمع جنباً إلى جنب مع غيرها على الرغم مما بينها من تضاد، فأى مجتمع لابد أن يكون فيه الأسوياء وغير الأسوياء من الناس، فنجد الوفاء إلى جانب الغدر. ومن أمثالهم:

1- "أوفى من السموأل" 2- "أوفى من فكيهة"

---

(1) الميدانى ج319/2: 321، المستقصى ج169/2، 170، جمهرة الأمثال ج40/2، تمثال الأمثال ص 474، 476، الفاخر ص 126: 128، المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ج498/1.

3- "أغدر من قيس بن عاصم " 4- "أغدر من كناة الغدر".

ونجد الجود والكرم إلى جانب البخل، ومن ذلك أمثالهم:

1- "أجود من حاتم". 2- "أجود من هرم"

3- "أجود من كعب بن مامة" 4- "أبخل من مارد"

5- "أبخل من الحباحب"

فالأمثال الثلاثة الأولى تدلنا دلالة واضحة على الكرم، فهى حافلة بآثاره الدالة عليه وإليه، أما المثلين الرابع والخامس فيدلان دلالة واضحة على البخل والشح.

وكذلك – أيضا- نجد الشجاعة إلى جانب الجبن، فجاء مثلهم: (الشجاع موقى) دالاً على أن الشجاع يتحاماه الناس ويخشونه خوفاً منه ورهبة. وجاء مثلهم: (إن الجبان حتفه من فوقه) ليدلنا على أن البيئة الجاهلية لا حياة فيها للضعيف الجبان، فإنه ملاق حتفه لا محالة.

ونجد - أيضا- العزة والمنعة إلى جانب الظلم والذل، ولذلك جاءت أمثالهم: (أعز من كليب وائل)، (أعظم فى نفسه من ابن مزيقياء)، (أوفر فداء من الأشعث)، (أبطش من دوسر)، (أجور من قاضى سدوم)، (أذل ممن بالت عليه الثعالب)، (أذل من حمار مقيد).

ونجد كذلك القناعة إلى جانب الطمع، فجاءت أمثالهم: (رضيت من الغنيمة بالإياب)، (تقطع أعناق الرجال المطامع)، (شر الفقر الخضوع وخير الغنى القنوع).

ونجد - أيضاً- الصدق إلى جانب الحلم والحمق، وغيرها فجاءت أمثالهم: (أصدق من قطاة)، (أحلم من الأحنف بن قيس)، (أحمق

من نعامة).

وهذه كلها صور لقيم اجتماعية سادت فى المجتمع الجاهلى وانتشرت بين من يعيشون فيه وجاءت أمثال الشعراء الجاهليين فتحمل لنا دلالة تلك القيم على أمثالها التى ضربت لها.

دلالة طبيعية بيئية "جغرافية":

تختلف خصائص الثقافات البشرية وصفاتها باختلاف البيئة والطبيعة، ولما كانت الأمثال هى لب اللغة، فقد كان لها علاقة وثيقة بالبيئة الجغرافية والطبيعية التى يعيش فيها الإنسان.

وقد كان العرب يعيشون فى صحراء شبه الجزيرة العربية بسهولها وجبالها وتضاريسها المختلفة، ولذلك جاءت أمثال الشعراء الجاهليين متخذة من الأشياء الموجودة فى تلك البيئة من حيوان ونبات وجماد ومادة لمعناها ومغزاها ودلالتها المختلفة.

فقد كانت حياة العربى فى الجاهلية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحيوان والنبات والجماد ولذلك صدرت عنهم بعض الأمثال التى تمثلوا فيها بالحيوانات والنباتات والجمادات، كالمشبه به وذلك ليبينوا الحقيقة والمعانى العميقة باستخدام خواص تشكيلية لحيوان والنبات والجماد، وكذلك طباعها وسجاياها استعانة بصورها الملموسة فى الحياة، ولذلك جاءت أمثالهم دالة على كل ذلك دلالة واضحة ومستوحاة من الأشياء الموجودة فى بيئتهم وطبيعتهم.

تمثلهم بالحيوان:

ومن ذلك أمثالهم: (أجرأ من أسامة)[1]، (أحمق من نعامة)[2]، (أذل من حمار مقيد)[3]، (أخبط من عشواء)[4].

فى المثل الأول "أشجع من أسامة".. فالأسد معروف فى تلك البيئة بأنه أشجع الحيوانات وأجراها.

أما فى المثل الثانى "أحمق من نعامة".. فالنعامة موصوفة بالسخف والموق، وذلك لأنها تحضن بيض غيرها وتترك بيضها.

أما فى المثل الثالث "أذل من حمار مقيد".. فالذل صفة تختص بها النفس الإنسانية ولا يختص بها الحيوان أو الجماد، ولكن الصلة بين الإنسان والطبيعة صلة قوية تبدأ بالإنسان وتنتهى إليه، والصفات المنسوبة إلى عناصر طبيعية من حيوان وجماد، وهى أصلاً من صفات الإنسان وخصائصه، ولكن إلصاقها به يكون لغاية معينة، كإلصاق الذل بالعير والوتد، ويكون ذلك لإظهار عنفوان العربى وإبائه ورفضه بكل قوة مثل هذه الأمور، يقول الشاعر:

إن الهوان حمار الأهل يعرفه
والحر ينكره والجرة الأجد
ولا يقيم بدار الذل يعرفها
إلا الأذلان عير الأهل والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يأوى له أحد

---

(1) الميدانى ج337/1، المستقصى ج45/1، 46، جمهرة الأمثال ج266/1.
(2) المستقصى ج85/1.
(3) الميدانى ج18/2، الدرة ج203/1، 204.
(4) المستقصى ج94/1، الدرة الفاخرة ج195/1.

openkanal.com

أما فى المثل: "أخبط من عشواء" فالخبط هو الإصابة مرة والخطأ مرة أخرى، والعشواء هى الناقة التى لا تبصر بالليل، ولذلك فهى تصيب هذا وتخطئ هذا.

تمثلهم بالنبات:

ومن ذلك أمثالهم: "أذل من فقع بقرقر"[1]

نلاحظ فى هذا المثل أن النابغة الذبيانى حين أراد استعمال صورة "فقع بقرق" كان يعرف تمام المعرفة ما يرمز إليه هذا الاستعمال استناداً إلى ما تضمنه المثل إشارة لذلك فهو لم يلجأ إلى ذكر "الذل" فالذل فى هذه البيئة قد أصبح من الأمور التى تحضر تلقائياً فى الذهن عند سماع لفظ ما يناسبها وهو "فقع بقرقر".

أما مثلهم "مرعى ولا كالسعدان"[2]، فيدلنا هذا المثل على المفاضلة بين شيئين، والسعدان نبات منبسط على الأرض ومنابته دائماً السهول وهو من أنجح المراعى وليس فى كل ما يرعى مثله.

وكذاك جاء مثلهم "أمر من الألاء"[3]، فهو شجر حسن المنظر، مر الطعم، دائم الخضرة، ويضربون به المثل فى المرارة.

تمثلهم بالجبال والبلدان وغيرها:

بلاد العرب معروفة بصحرائها وكثرة جبالها، ولذلك نجد أن العرب قد تمثلوا بها للدلالة على صفات وخصائص بعينها، فالجبال تختص بالضخامة والثقل والثبات وعدم الزوال.

---

(1) مجمع الأمثال للميدانى ج18/2، الدرة الفاخرة ج204/1.
(2) مجمع الأمثال للميدانى ج265/3، اللسان "سعد".
(3) الأمالى للقالى ج31/2، اللسان "ألا"، المستقصى ج362/1، 363.

obeikandl.com

ولذلك جاء مثلهم: "لا أفعل ذلك ما أقام عسيب" أى لا أفعله أبدا لأن الجبل لا يزول عن مكانه، وفى ذلك المثل دلالة واضحة على الثبات وعدم الزوال.

يقول امرؤ القيس:

أجارتنا إن المزار قريب ∴ وإنى مقيم ما أقام عسيب[1]

وتمثلوا بالفرقدين وشمام فى الثقل وطول الصحبة، فجاء مثلهم "أثقل من شمام"، "أطول صحبة من الفرقدين"، "أطول صحبة من بنى شمام"[2].

وذلك لأن شمام كان له رأسان يسميان ابنى شمام، والفرقدان نجمان فى السماء لا يغربان.

ويدلنا ذلك دلالة واضحة على الثقل وطول الصحبة والثبوت وعدم الزوال وذلك مأخوذ من صفات وخصائص الجبال أو النجم.

وهكذا يتضح لنا أن للبيئة والطبيعة أثرهما الواضح فى دلالة الأمثال التى جاءت على ألسنة من يقيمون فى هذه الأماكن متخذين من حيوانات ونباتات وجمادات تلك البيئة أمثال تدل دلالة واضحة على ما يدور فى هذه البيئة ومستوحاة من واقعها الملموس وحاملاً لسجايا وصفات تلك الأشياء.

فالذل مثلا الذى هو صفة يأباها الجاهلى ويرفضها دائما قد رمزوا له بالحمار المقيد أو "بفقع بقرقر" والعربى الذى عاش فى الجاهلية

---

(1) معجم البلدان لياقوت "عيب"، وديوان امرئ القيس ص 357.
(2) الميدانى ج275/1، جمهرة الأمثال ج19/2، الدرة الفاخرة ج287/1.

obeikandl.com

يعى جيداً عندما يسمع هذه الأشياء ما تحمله من ذل ومهانة واحتقار وهوان.

وهكذا جاءت بقية أمثالهم حاملة للمعانى التى كانت سائدة فى بيئتهم دالة عليها دلالة واضحة.

دلالة طبية:

تدلنا بعض أمثال الشعراء الجاهلين على معرفة العرب فى الجاهلية ببعض الأمور الطبية والبيطرية الخاصة بهم أو بحيواناتهم كالجراحات والكى بالنار والاكتحال بالأثمد وغيرها، ومن ثم جاء مثلهم "كذى العر يكوى وهو راتع"[1].

والعر: قرح يصيب الإبل فى مشافرها. وقيل العر: الجرب، وقد كانت تزعم العرب أن الإبل إذا فشا فيها الجرب فكوى بعير صحيح قدامها وهى تنظر إليه برأت كلها.

وكذلك جاء مثلهم "قد يضرط العير والمكواة فى النار"[2].

يدلنا هذا المثل وسابقه على معرفة عرب الجاهلية بالكى كنوع من أنواع الجراحة الطبية، فقد كانت العرب تكوى الصحيح من الإبل حتى يشفى المريض. وقد ورد فى هذا المثل أن مسافر بن عمرو بن أمية كان يهوى هند بنت عتبه فأخبر وهو عند النعمان أن أبا سفيان قد تزوجها فطعن مسافر من الغم، فأمر النعمان أن يكوى فأتاه الطبيب بكاوية فجعلها فى النار ثم وضع مكواة منها عليه.

---

(1) مجمع الأمثال للميدانى ج49/3، المستصى ج217/2، جمهرة الأمثال ج128/2.
(2) الفاخر للمفضل بن مسلمة ص 154، جمهرة الأمثال ج104/2، تمثال الأمثال ج296/1: 298.

obeikandi.com

والواضح فى هذا المثل هو أمر النعمان بكى المريض، فكأن التداوى بالكى أصبح العرف الطبى الذى يعرفه الجميع سواء فى علاج الإنسان أو الحيوان.

وكذلك أيضا جاء مثلهم "أطب من ابن خذيم"[1].

وهو رجل من أطباء العرب، ويدلنا ذلك على أن العرب فى الجاهلية كان من بينهم أطباء عرفوا واشتهروا وضربت بهم الأمثال.

ومما يدلنا أيضا على أن المعارف الطبية كانت سائدة فى الجاهلية وأنه فيما يتعلق بطب العيون كانت محصورة فى الاكتحال مثلهم "أبصر من الزرقاء"[2].

ويقال أن سبب حدة بصر الزرقاء وقوة مداه يعود إلى دوام استمرارها على الاكتحال بالأثمد، فقد وجدوا فى عينها عروقا سوداء من الأثمد، والزرقاء هى أول من اكتحل بالأثمد من العرب.

دلالة الأمثال على العادات والتقاليد والمعتقدات:

لقد سيطرت على العرب فى الجاهلية الكثير من العادات والتقاليد المختلفة والتى كان الكثير منها يقوم على الخرافة والأسطورة والمعتقدات الدينية السائدة فى ذلك الوقت.

ومن المعلوم أن اللغة المتداولة لأى بيئة من البيئات تعكس ملامح الحياة وعادات الناس وتقاليدهم فى تلك البيئة.

ولذلك وجدنا أن الكير من أمثال الشعراء الجاهليين جاءت لتدل

---

(1) المستقصى ج230/1، الدرة الفاخرة ج284/1.
(2) المستقصى ج18/1: 20، جمهرة الأمثال ج196/1.

على عادات وتقاليد ومعتقدات العرب فى ذلك الوقت.

ومن أمثالهم فى ذلك: "أيسر من لقمان"[1]

يدلنا هذا المثل على أن الميسر كان منتشرا بين عرب الجاهلية، والأيسار هم القوم يجتمعون فيضربون بالقداح، واحدهم ميسر، ولقمان ابن عاد كان أضرب الناس بالقداح، ولذلك ضربوا به المثل "أيسر من لقمان".

وكذلك جاء مثلهم "أول الصيد فرع"[2]

ويدلنا هذا المثل على بعض معتقدات أهل الجاهلية حيث إنهم كانوا يذبحون الفرع وهو أول ولد تنتجه الناقة لآلهتهم يتبركون بذلك، وكان الرجل يقول: إذا تمت إبلى كذا نحرت أول نتيج منها، وقد جاء ذلك على سبيل النذر للإلهة أو تبركاً بها، مما يدلنا على أن النذور المادية كانت سائدة فى الجاهلية.

ومن المعتقدات التى كانت سائدة بين العرب فى الجاهلية "التفاؤل والتشاؤم"، فقد كانوا يتشاءمون بأنواع من الطير مثل الغراب والأخيل والزماح وضربوا أمثالهم فى الشؤم بها.

وقد ورد أن العرب تتطير من نعيب الغراب أى صوته المتساوق مع مد العنق وتحريك الرأس، بينما تتفاءل بنعيقه وهو صياحه[3].

ومما يدلنا على اعتقادية التفاؤل والتشاؤم و أمثالهم التى جاءت على ألسنتهم والتى نذكر منها: "أبصر من غراب"، "هم فى عيش لا

(1) مجمع الأمثال للميدانى ج544/3، المستقصى ج449/1، جمهرة الأمثال ج339/2.
(2) مجمع الأمثال للميدانى ج41/1.
(3) اللسان "نعب، نعق".

يطير غرابه"، "أشأم من غراب البين"[1].

يقول ابن الأعرابى: إن العرب تسمى الغراب: الأعور لأنه مغمض أبدا إحدى عينيه، وقال غيره: إنما سموه أعور لحدة بصره على طريق التفاؤل.

أما المثل الثانى فقد ورد فيه: وأصله أن الغراب أذا وقع فى موضع لم يحتج أن يتحول إلى غيره، قيل: هذا يضرب فى كثرة الخصب والخير.

أما المثل الثالث فقد ورد فيه إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة وقع فى موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم فتشاءموا به وتطيروا منه، إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين.

هذا ما ورد عن تشاؤمهم بالغراب، أما عن التشاؤم بصفة عامة فإن الكثير من الأمثال التى جاءت فى هذا البحث والتى تبدأ بلفظ "أشأم" فكلها تتضح بدلالة "الشؤم" وهى متنوعة وشاملة، ويقوم جوهر دلالتها على شيء واحد وهو التشاؤم.

أما عن مثلهم " لو ترك القطا ليلا لنام "[1] فيدلنا أن الزجر ليس كله خيالا وأوهاما. بل إن بعضه يعتمد على المراقبة الموضوعية الواعية، وذلك مثلما فعلت خذام بنت الريان فقد استنتجت قدوم قوم كثيرين بسبب طيران القطا من مواضعه على غير عادته. فلو لم يكن هناك حركة وجلبة كثيرة لما تحرك هذا القطا من مواضعه.

ومن الأمثال التى جاءت لتدلنا على بعض العادات أو الخرافات التى

(1) الميدانى ج202/1، ج480/2، 194، 195، المستقصى ج21/1، 22، 183، 185، الدرة الفاخرة ج78/1، 249، 250.

كانت سائدة فى الجاهلية مثلهم "لبست له جلد النمر"[1] فيدلنا هذا المثل على إظهار العداوة، وذلك لأن ملوك العرب كانت أذا جلست لقتل أنسانا لبست جلود النمر،

ثم أمرت بقتله، وذلك مستقى من عادة اجتماعية كانت سائدة فى ذلك الوقت.

وكذلك مثلهم "كالثور يضرب لما عافت البقر"[2] فقد كان من عادة العرب إذا أوردوا البقر الماء فلم تشرب أم لكدر الماء أو لأنه لا عطش بها ضربوا الثور الذى معها.

وذلك لأنهم كانوا يعتقدون بخرافة أو أسطورة مؤداها أن الجن تركب ظهور الثيران فتصدها عن الشرب، فتفعل البقر مثلها فيضربون الثيران كى تشرب البقر.

ومهما يكن من أمر فقد دلنا هذا المثل على أن تلك العادة كانت سائدة عند العرب فى الجاهلية.

دلالة قصصية تاريخية:

تتمتع الأمة العربية بتقاليد ثقافية ذات منابع عريقة، ويشمل ذلك التراث الثقافى كمية كبيرة من الأساطير والقصص والحكايات. وهذه المواد التاريخية لها انعكاسات كبيرة على الأمثال وصبغها بصبغة كثيفة من الثقافات القومية، حتى أن أبناء الأمة إذا لم يتعرفوا الخلفية التاريخية لهذه الأمثال ومصادرها فقد يصعب عليهم فهم ما تتضمنه

(1) مجمع الأمثال للميدانى ج82/3، فصل المقال ص 384، 385، الفاخر ص 145، 146.

(2) جمهرة الأمثال ج164/3، فصل المقال ص 480، 481.

obeikandl.com

الأمثال من معان ودلالة، والأمثال التى نشأت عن طريق الأساطير والحكايات والقصص فكان لها دلالتها التاريخية القصصية كثيرة نذكر منها مثلهم: "إن غدا لناظره لقريب"[1].

لهذا المثل دلالة تاريخية فيبدو أن لقصة هذا المثل جذوراً تاريخية. ولعل حنظله المذكور فى قصة هذا المثل هو حنظله صاحب الدير المنسوب إليه "دير حنظله" وهو المعروف بابن أبى عفران، وهو من رهط زيد الطائى، وكان من شعراء الجاهلية.

وكذلك مثلهم "أتى أبد على لبد" أخنى عليها الذى أخنى على لبد[2]، ويدور هذا المثل وشعره حول خرافة مؤداها أنه قيل للقمان بن عاد: اختر لنفسك لا سبيل إلى الخلود، فقال: يارب: اعطنى عمراً: فقيل له اختر، فاختار عمر سبعة أنسر فعمر فيما يزعمون – عمر سبعة أنسر وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة، فلما مات السابع وهو لبد مات لقمان معه[3].

وكذلك جاء مثلهم "جزاء سنمار"[4].

تدلنا قصة ذلك المثل على أن رجلا روميا بنى قصر الخورنق للنعمان بن امرئ القيس ويقال هو الذى بنى أطم أحيحة بن الجلاح وكان جزاه أن ألقى من فوق القصر أو فوق الأطم فخر ميتا فضربت العرب به المثل لمن يجزى بالإحسان الإساءة.

---

(1) الميدانى ج121/1: 124.
(2) المستقصى ج36/1، 37، اللسان "أيد".
(3) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج88/1، المطبعة الأزهرية المصرية، 1883.
(4) الميدانى ج283/1، المستقصى ج52/2.

وإن صحت قصة ذلك المثل فإنها تدلنا على تاريخية العلاقة التى كانت تربط العرب بالروم فى ذلك الوقت.

وكذلك جاء مثلهم "استنوق الجمل"[1] .. فقصة هذا المثل حوار أو نقاش دار بين طرفة بن العبد والمتلمس حين أنشد شعراً فى وصف جمل ثم حوله إلى نعت ناقة.

ويدلنا ذلك على أن النقد كان قائما على موازنة الألفاظ للمعانى وهذه الموازنة لم تكن تمثل الشكل منفصلا عن مضمونه كما يدلنا هذا المثل أيضا على تاريخية النقد عند العرب وأنه بدأ عندهم منذ القدم.

أمثال لها دلالات أخرى:

هذه مجموعة من أمثال الشعراء الجاهليين لها دلالتها المختلفة والمتنوعة والتى تطرقت إلى أمور شتى من شئون الحياة التى كان يعيشها العرب فى الجاهلية، وجاءت تلك الأمثال لتدلنا على كل هذه الأمور ودلالتها المتنوعة.

ومن ذلك مثلهم " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"[2].

يدلنا هذا المثل على وجوب الزود عن العرض، فالأخوة عند هؤلاء القوم توجب المناصرة سواء كانت ظالمة أو مظلومة.

وكذلك مثلهم "كل فتاة بأبيها معجبة"[3] .. فهذا المثل يدلنا على أهمية العلاقة الوجدانية العاطفية غير المرئية بين الأب وابنته قبل

(1) الميدانى ج478/2، 479، المستقصى ج158/1، 159، اللسان "نوق".
(2) الميدانى ج373/3، المستقصى ج392/1، 393.
(3) الميدانى ج9/3، 10، فصل المقال ص 318.

obeikandl.com

مدرسة التحليل النفسى مع فرويد وسواه[1] بمئات السنين، ولذلك يجب على الأب أن يكون فاضلاً شجاعاً يمثل القيم السامية التى تجعل منه فى نظر ابنته صورة حقيقية للرجل المثالى الذى يثير إعجاب الناس به.

وكذلك جاء مثلهم "وافق شن طبقة"[2] فيدلنا هذا المثل على هذه الحاجة إلى التوافق بين الزوج والزوجة فى كثير من الأمور، وذلك يكون أساساً قوياً لتكوين أسرة سعيدة موفقة، وهو من الأمثال التى جاءت فى صورة الحقيقة.

وكذلك جاء مثلهم "أى الرجال المهذب"[3] .. وأول من قال ذلك هو النابغة الذبيانى، ويدلنا ذلك على خبرته بالحياة ومعرفته لطبيعة النفس البشرية، ولذلك فهو يوصى بالصبر على زلات الأصدقاء والأخوان، وذلك هو الطريق الصحيح للاحتفاظ بصداقتهم وعدم فقدهم.

وكذلك جاء مثلهم "إذا عز أخوك فهن"[4] .. فالمثل يدلنا على القدرة على التكيف مع مستجدات وظروف الحياة وتقلباتها وعدم الشطط فى إتباع النفس وهواها الجامح لأن فى ذلك الهلاك، والفناء، وكذلك يظهر لنا هذا المثل قدرة العقل على التحكم فى أمور الغريزة والعاطفة المستبدة.

---

(1) مذاهب علم النفس لعلى زيعور ص 211: 289ن بيروت، دار الأندلس، 1984م.
(2) الميدانى ج418/3، 419، المستقصى ج432/1، 433، فصل المقال ص 262، 263.
(3) الميدانى ج36/1، المستقصى ج449/1، الفاخر ص 286.
(4) جمهرة الأمثال ج571/1، الميدانى ج35/1، ج101/3، المستقصى ج125/1، ج408/2.

وكذلك جاء مثلهم "إن الجبان حتفه من فوقه"[1] ليدلنا على أن البيئة الجاهلية لا حياة فيها للضعيف المتخاذل فإنه ملاق حتفه لا محالة لأن الغلبة عندهم للقوى الشجاع.

وهكذا جاء الكثير من أمثال الشعراء الجاهليين بدلالاتها المختلفة والمتنوعة لتشمل كل شئون الحياة المختلفة فى عصرهم.

ومن ثم يتضح لنا أن الأمثال بدلالاتها المختلفة تمثل جانبا مهما من أدبنا الشعبي الذي كثيرا ما كان يصدر على ألسنة العامة والخاصة ويمثل بيئتهم تمثيلا صادقا . وبذلك يمكن التمثل به في كل بيئة وعصر يكون مشابها لبيئته وعصره .

❖❖❖

ثانيا- الألغاز والنكت والموال

من فنون الأدب الشعبى التى تساق بغرض التسلية والضحك، وقد تساق للنقد الاجتماعى وعلاج القضايا والمشكلات بالطرق الساخرة، وهناك بعض الشعوب سادت عندها هذه الفنون، فالنكتة ارتبطت كثيراً بالشعب المصرى، إذ لا توجد ظاهرة أو مشكلة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية إلا يكون لها ردود الفعل القوية فى صورة نكت وحكايات ساخرة أو فى صورة عبارات وحكم موجزة.

هذا اللون يعبر عن النبض الشعبى والوجدان الاجتماعى ويوصف للكشف عن خفايا الشعوب وما يضمره تجاه موقف ما أو حدث طارئ ودراسته مهمة لعلاج المشكلات أو القضايا، أما الألغاز فهى عبارات

(1) الميدانى ج14/1، فصل المقال ص 439.

obeikandi.com

تلقى نصف أشياء، ويحددها الإبهام والتعمية، وتكون أسئلة لاختبار المعلومات العامة لدى الآخرين، وتصاغ فى أساليب مجموعة قد تثير الضحك والنشوة والنشاط الذهنى، ونذكر منها على سبيل المثال:

1 - اسم لو أكلت نصه تموت وإن أكلته كله تعيش (السمسم).

2 - من بره نحاس ومن جوه لولى. (الرمانة).

3 - أسود وقلبه أبيض (الباذنجان).

4 - بلد تقرأ من الأمام كالخلف. (ليبيا)

5 - يمشى على الأرض ورأسه فوق النجوم. (الضابط)

6 - اسم يأكل نصفه الفقير ويأكله كله الغنى. (المشمش)

7 - تضحك كلما قبلتها. (الشيشة)

8 - شئ يمشى وهو ميت. (الشجرة تصنع منها السفينة)

9 - مكسحة تجرى ومكفوفة ترى، فى بطنها حمل على ظهرها يعلو، إذا عطشت عاشت وعاش جنينها، وإذا شربت ماتت وفارقها الحمل. (السفينة أو المركب).

❖❖❖

الموال

الموال فن شعبى غنائى يعبر عن معاناة إنسان أو جماعة أو تجربة حب أو علاقة عاطفية.

والمعاناة ترسم مشاهد اجتماعية مأساوية من تردى القيم والمبادئ وافتقار صفوة من الناس، وسيادة سفلة أوغاد. فيأتى الموال مصوراً الألم والشكوى.

obeikandi.com

وقد يرسم الموال حياة بطل وكفاحه ضد نكبات الدهر وصدماته، ويتكون الموال من مقاطع شعرية مختلفة الأنواع، وهى تعتمد على الزخرفة اللفظية أو الأداء الجيد والغناء المؤثر. ولا سيما لدى العامة من العمال والفلاحين كموال "شفيقة ومتولى" و"أدهم الشرقاوى" و"بهية وياسين".. وكلها تعالج أحداثاً واقعية فى البيئة المصرية.

وقد ودعت مصر فى بداية العام الحالى (2013م) أحد فنانى الشعب المصرى فى الموال الشعبى وهو "يوسف شتا"..

وعرف يوسف شتا الملقب بـ ريس الموال قيمة الكلمة، فكانت وسيلته لمشاركة الناس أحزانهم وأفراحهم، فسكن قلوب البسطاء الذين جعلوا مواويله مرجعيتهم، ولم لا وهو الذي ظل لأكثر من نصف قرن يحكي عن عاداتهم وتقاليدهم ويرسخ القيم النبيلة وينبذ الرديئة.

يوسف شتا:

يوسف شتا الذي احتار جمهوره إلي أي محافظة ينتمي، فهو إذا غني للفلاحين اعتقدوا أنه واحد منهم، وإذا غني للصعايدة اختار لهجتهم، أما إذا غني لأبناء السواحل، فيعتقد جمهوره أنه أحد أبناء المدينة الباسلة، أما حقيقة الأمر، فإنه انحدر من قرية صغيرة تسمي أكياد دجوي بمحافظة القليوبية، شهدت أولي خطواته نحو الفن الشعبي وهو في الثالثة عشرة من عمره.

تعلم ريس الموال الفن الشعبي من كثرة التردد علي الموالد، وصار يغني بينه وبين أصدقائه، حتي دعاه والده للغناء في فرح ابن أحد أصدقائه، لكنه رفض من شدة خوفه. فكيف يغني أمام جمع غفير من

كبار رجال القرية؟ لذلك أصر علي عدم الغناء ولم يخش تهديد والده له بالضرب، وفي النهاية اضطروا إلي استدعاء مطرب آخر، تعمد أثناء غنائه أن يمطر يوسف شتا بوابل من ألذع الألفاظ بغرض استفزازه، حتي اندفع الصبي الصغير(يوسف شتا) للرد علي وابل الشتائم بالموال ونجح الصبي في إثبات ذاته حتي صار مطرب القرية.

اعتقد يوسف شتا أن الدنيا تبسمت له، لكن القدر تدخل وتوفي والده ليضطر إلي الانتقال مع والدته وأخوته للإقامة عند خاله في القاهرة، لكن ظل الحلم يراوده، فكان يتردد علي(سوق المحمدي) الذي كان يقام كل يوم خميس بحي العباسية، ليستمع إلي الفنانين الشعبيين، حتي تعرف علي الحاج مصطفي مرسي الذي وضعه علي أول سلالم عالم الموال، بعد أن سمح له أن يشاركه الغناء في أحد الأفراح، حيث تمكن من إثبات جدارته وأصبح أحد أشهر مطربي المنطقة.

مع بداية الخمسينيات، وفي أحد ليالي مولد الحسين تعرف علي الفنان الكبير زكريا الحجاوي، الذي اصطحبه إلي مسارح وزارة الثقافة وكان أجره وقتئذ أربعة جنيهات.

وبعد أن ذاع صيت يوسف شتا بين الأقاليم، كان عليه أن يبدأ خطوه جديدة في حياته، فذهب لتقديم طلب اعتماده في الإذاعة، فتقابل مع المخرج عبده دياب الذي عرض عليه أن يغني مقدمة المسلسل الإذاعي المعدية بطولة الفنان الراحل شكري سرحان وكريمة مختار، وقام يوسف شتا كعادته بتأليف كلمات المقدمة، التي قال فيها: كفاية يا زمان بزيادة معادية، خلتني حيران مع ده ومع ديه.. كمثل غرقان مش

طايل معدية، حتي صارت من أشهر الأغنيات الإذاعية. ثم توالت أعماله من خلال مسلسلات عديدة منها، (مختار ورئيسة) و(ابن البلد)..

وفي أوائل الستينيات استدعاه المخرج شوقي جمعه، وطلب منه أن يغني موال عن صناعة السجاد، وبالفعل نجح يوسف شتا في نسج موالا رائعاً كان كفيلا بأن يجعله ضيفا دائما علي برنامج الفن الشعبي.

عبر يوسف شتا بمواويله الحدود المصرية، بعد أن دعاه السفير الفرنسي لإحياء حفل في باريس مع مجموعة من الفنانين، ووقف شتا علي مسرح (بوف دينو) أمام جمهور لا يعرف لهجته، لكن ريس الموال لم يكن بحاجة إلي إجادة الفرنسية للوصول إلي قلوب شعب عاصمة النور.

عبر فقط عما شعر به في تلك اللحظة بطريقة الارتجال وعلت صيحات الإعجاب ودوي التصفيق الحار، وعاد يوسف شتا بعد رحلة ناجحة استمرت لأكثر من أسبوعين.

ومن مواويله:

راجل معندوش حماس ياخد الأمور بشويش

إن شيلوه الحمول بيحطها بشويش

وحتي دمه بيجري

في العروق بشويش

مفهش غير جوز عيون بتبص وتبرق

من الكرامة ما لهش نصيب وتبرق

مراته في الدار بتشخط فيه وتبرق

هي تزعق وهو يقولها بشويش.

obeikandl.com

ويقول أيضاً:

" وعوت نفسى غير الفن السليم ما اشيلوش

وكلمة الخير كتبتها بالغم ومعنى

والهم ع اللى معنى وع اللى جاى ما اشيلوش"

هكذا عبر الفنان الشعبى الراحل "يوسف شتا" عن المنهج الذى اتبعه طوال حياة فنية حافلة دامت لأكثر من نصف قرن من الزمان، قدم خلالها العديد من المواويل والقصص الشعبية التى أثرت فى جمهوره.[1]

هذه مجموعة من الألغاز الشعبية المتداولة في المجتمع المصري أو في غيره من المجتمعات والتي يسوقها بعض الناس للتسلية والإلغاز والتعمية على بعضهم البعض ومن ثم يكثر تداولها بينهم .

ثالثا: القصـــــص

قصة معن بن زائدة الشيبانى والأعرابى[2]

هذه القصة تدور خلاصتها عن سماحة الإنسان القائد الحليم الكريم، وما يتصف به من صفات النبل والتسامح والجود. نذكرها بلغتها التى رويت فيها:

قال (الأتليدى)[3]: كان معن لا يغيظ أحداً ولا أحد يغيظه، فقال بعض الشعراء أنا أغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة بعير إن أغاظه أخذها، وإن لم يغظه دفع مثلها. فعمد الرجل

(1) فنان من الشعب، أهرام الأحد 2013/1/13.
(2) أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس. لمحمد دياب الأتليدى، طبع فى مصر سنة 1278هـ، ص 93.
(3) المصدر السابق ص 92: 93.

obeikandl.com

إلى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من نعل الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يدى معن على هذه الصورة المشروحة ومد رجليه فى وجهه.

وقال (الشاعر):

أنا والله لا أبدى سلاماً ∴ على معن المسمى بالأمير

فقال (معن):

السلام لله إن سلمت رددت عليك ∴ وإن لم تسلم ما عتبنا عليك

فقال (الشاعر):

ولا أنزل بلاداً أنت فيها ∴ ولو نلت الشام مع الثغور

قال (معن):

البلاد لله لو نزلت مرحباً بك ∴ وإن رحلت كان الله فى عونك.

قال (الشاعر):

أتذكر إذ قميصك جلد شاة ∴ وإذ نعلاك من جلد البعير

قال (معن):

أعرف ذلك ولا أنكره.

قال (الشاعر):

وتأوى كل مصطبة رسول ∴ بلا عبد لديك ولا وزير

قال (معن):

ما نسيت ذلك يا أخا العرب.

قال (الشاعر):

ويومك فى الشتاء بلا رداء ∴ وأكلك دائماً خبز الشعير

قال (معن):

الحمد لله على كل حال.

قال (الشاعر):

وفى يمناك عكاز قوى ∴ تذود به الكلاب عن الهرير

قال (معن):

ما خفى عليك خبرها إذ هى كعصا موسى.

قال (الشاعر):

فسبحان الذى أعطاك ملكاً ∴ وعلمك القعود على السرير

قال (معن):

بفضل الله لا بفضلك.

قال (الشاعر):

فعجل يا ابن ناقصة بمال ∴ فإنى قد عزمت على المسير

فأمر له بألف دينار.

قال (الشاعر):

قليل ما أمرت به فإنى ∴ لا أطمع منك بالشىء الكثير

فأمر له بألف دينار أخرى.

قال (الشاعر):

فثلث إذ ملكت الملك رزقا ∴ بلا عقل ولا جاه خطر

فأمر بثلثمائة دينار.

obeikandl.com

قال (الشاعر):

ولا أدب كسبت به المعانى ∴ ولا خلق ولا رأى منير

وطلب الشاعر المزيد فأمر له (معن) بأربعمائة دينار.

قال (الشاعر):

فمنك الجود والأفضال حقاً ∴ وفيض يديك كالبحر الغزير

فأمر له بخمسمائة دينار، وما زال يطلب المزيد حتى استكمل مرة أخرى ألفى دينار، فأخذها وانصرف متعجباً من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال: فى نفسه مثل هذا لا ينبغى أن يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع إليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له، وبان الحامل له على هجومه المائة بعير التى صار الرهان عليها فى نظير إغاظته فأمر له بمائة بعير يدفعها فى نظير الرهان، وبمائة أخرى لنفسه فأخذها وانصرف (واللّه أعلم).

والحكاية على طرافتها وما هى عليه من مبالغات فى العطاء، والصبر، والحلم، تعطينا صورة جميلة لشخصية الإنسان العربى الكريم الشجاع الحاكم المتدبر، نعرض اليوم لنأخذ منها الأمثولة الطيبة، والعبرة النافعة!!

❖❖❖

قصة الحجاج والفتية الثلاثة[1]

(حكى) أن الحجاج أمر صاحب حراسته أن يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه، فطاف فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم

[1] أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس. مرجع سابق، ص 24.

obeikandi.com

أثر الشراب فأحاط بهم وقال: من أنتم حتى خالفتم الأمير؟

فقال (الأول):

أنا ابن من دانت الرقاب له

ما بين فخر دمها وهاشمها

تأتى إليه الرقاب صاغرة

يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله وقال: لعله من أقارب أمير المؤمنين.

وقال (الثانى):

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره

وإن نزلت يوماً فسوف تعود

ثوى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره

فمنهم قيام حولها وقعود

فأمسك عن قتله وقال: لعله من أشراف العرب.

وقال (الثالث):

أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه

وقوّمها بالسيف حتى استقامت

ركاباه لا تنفك رجلاه منهما

إذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فأمسك عن قتله وقال: لعله من شجعان العرب.

ورفع أمرهم إلى الحجاج فأحضرهم، فإذا الأول ابن حجام، والثانى ابن فوال، والثالث ابن حائك.

obeikandl.com

فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه: علموا أولادكم الأدب، والله لولا الفصاحة لضربت أعناقهم، ثم أطلقهم، وقال وأنشد:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يغنيك محموده عن النســـب

إن الفتى من يقول ها أنـــا ذا

ليس الفتى من يقول كان أبى

❖❖❖

لقد أوردنا تلك القصة الشعبية لما فيها من عظة وعبرة حيث استطاع هؤلاء الفتية الثلاثة أن يحتالوا بذكائهم وفطنتهم على ما أمر به الحجاج المعروف بجبروته وقسوته وقد كان لذلك أثره فى نفس الحجاج فعفا عنهم وأطلق سراحهم وذلك لما تحلوا به من ظرف وأدب.

قصيدة الأصمعى والمنصور(1)

ذكر المؤلف قصيدة شعبية، نسبت للأصمعى تناقلتها الأفواه وتندر بها الناس، لما تضمنه من كلمات متسابقة النغم، مترادفة الصوت، يصعب على المرء تلاوتها بسرعة، وتفسير مفرداتها بسهولة.

ولقد ذكرتها المصادر المتأخرة فى فترة الظلمة الثقافية للوطن العربى، ولم تشر المراجع السابقة لهذا العصر عنها فى ترجمة الأصمعى، وفى استقرائى لمحتوياتها العامة، وما طرأ عليها من ذرات ودخيل، عرفت بأنها ربما تكون لشاعر متأخر من أبناء (الموصل) وليس لها صلة بالأصمعى

(1) أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس. مرجع سابق، ص 41.

– ذلك الرجل الذى حيكت حوله القصص، ونسبت إليه الحكايات، والذى هو برئ منها، مثل براءة بعض الأشعار الخمرية المنسوبة (لأبى نواس)والقصيدة قد ذكرها من المتأخرين الأب لويس شيخو اليسوعى فى (مجانى أدبه)[1]، وحذف وأثبت ما رآه مناسباً.

ومما ذكره صاحب (أعلام الناس) عن الرواية قوله[2]:

كان الأصمعى من جلساء (المنصور) وندمائه فنظم أبياتاً صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها فى عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حلتيه فى صفة إعرابى غريب وضرب له لثاماً ولم يبن منه غير عينيه وجاء إلى الخليفة وقال: أنى امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة، فقال: يا أخا العرب إن كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة، وألا نعطيك زنة ما هى مكتوبة عليه، فأنشد الأصمعى هذه القصيدة التى سنوردها والتى ألقاها مع زمره وطبله!!

والسبب كما يقول (المؤلف) فى أن الخليفة (المنصور) – بحسب روايته – كان يحفظ الشعر من مرة، وله مملوك يحفظه من مرتين، وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرات، وكان يحرم الشعراء من أعطياته على قصائدهم، ويشترط عليهم فى أن قصائدهم يجب أن لا تكون مطروقة، وهكذا يتلو الشاعر الغافل قصيدته أمامه، فيحفظها المنصور ويعيدها أمام الشاعر، ويعيد المملوك تلاوتها مرة أخرى، والجارية فى المرة الأخيرة.

---

(1) راجع مجانى الأدب للأب لويس شيخو، جـ131/5، الطبعة اليسوعية، المكتبة الشرقية، بيروت.

(2) أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس. مرجع سابق، ص 41: 49.

قال (الأتليدى): فأنشد (الأصمعى) هذه القصيدة أمام الخليفة وهى[1]:

صـــوت صـــفير الـــبلبل هـــيج قـــلبي الثمـــل

المـــاء والزهـــر معـــا مـــع حســـن لحـــظِ المُقَـــل

وأنـــت حقـــاً ســـيدَى وســـؤددى ومـــوللى

وكـــم وكـــم تـــيمني تمريـــل عقيقـــل

قطَّفـــت مـــن وجـــنتهٍ الشـــم ورد الخجـــل

ج

وقـــال: بـــس بسبســـنى فلـــم يجـــد بالقبـــل

ج

وقـــال: لا لا لـــلا وقـــد غـــدا مهـــرولى

ج

والخـــود مالـــت طربـــاً مـــن فعـــل هـــذا الرجـــل

ومنها:

وفتيـــة سقـــونني قـــهيوة كالعســـل

ج

شميمهـــا فـــى أنففـــى أزكـــى مـــن القرنفـــل

[1] أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس. مرجع سابق، ص 42.

obeikandl.com

في وسط بستان حلي بالزهر والسرورلي

والعود دندن دللى والطبل طبطبلى

ج

ولو تراني راكبا على حماراً هول

يمشي على ثلاثة كمشية العرنجلي

ج

والناس قد ترجمنى بالسوق بالبقلل

ج

لكن مشيت هارباً فى خشية من عقللى

ج

إلى لقاء ملك معظم مبجل

يأمر لي بخلعة حمراء كالدم دملي

أجر فيها ماشياً مبغدداً كالدلدل

ويختمها بقوله ومنها يستشف أنه شاعراً (موصلى) بقوله:

أنا الأديب الألمعي من حى أرض (الموصل)

قال (الراوى) فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر إلى المملوك وإلى الجارية فلم يحفظها أحد منهما. فقال: يا أخى هات الذى هى مكتوبة

فيه فنعطيك زنته.

قال: يا مولاى إنى لم أجد ورقاً أكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهد أبى وهى ملقاة ليس لي بها حاجة فنقشتها فيها.

فلم يسع الخليفة إلا أنه أعطاه وزنها ذهباً، فنفذ ما فى خزينته من المال فأخذه وانصرف.

فلما ولى قال الخليفة: يغلب على ظنى أن هذا الأصمعى). فأحضره وكشف عن وجهه، فإذا هو (الأصمعى)، فتعجب منه ومن صنيعه، وأجازه على عادته.

قال: يا أمير المؤمنين أن الشعراء فقراء وأصحاب عيال، وأنت تمنعهم العطاء لشدة حفظك وحفظ هذا المملوك، وهذه الجارية، فإذا أعطيتهم ما تيسر أعنتهم على شدة فقرهم.

❖❖❖

هارون الرشيد والفتاة البدوية[1]

حكى أن (هارون الرشيد) مر فى بعض الأيام ومعه (جعفر البرمكى) وإذا هو بعدة بنات يستقين الماء فعرج عليهن يريد الشراب، وإذا أحداهن تقول:

قولي لطيفك ينثني عن مقلتي وقت المنام
كى أستريح وتنطفى نار تأجج فى العظام
دنف تقلبه الأكف على بساط من سقام
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من تمام؟

---

[1] أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس. مرجع سابق، ص 50.

obeikandl.com

فأعجب أمير المؤمنين بملاحتها وفصاحتها فقال لها: يا بنت الكرام هذا من قولك أم من منقولك.

قالت: من قولى.

قال: إن كان كلامك صحيحاً فامسكى المعنى وغيرى القافية.

فأنشدت تقول:

قولي لطيفك ينثني عن مضجعى وقت الوسن

كى أستريح وتنطفى نار تأجج فى البدن

دنف تقلبه الأكف على بساط من شجن

أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن؟

فقال لها وهل هذا مسروق.

قالت: بل كلامى.

قال: إن كان كلامك فامسكى المعنى وغيرى القافية.

فأنشدت تقول:

قولي لطيفك ينثني عن مضجعى وقت الرقاد

كى أستريح وتنطفى نار تأجج فى الفؤاد

دنف تقلبه الأكف على بساط من سهاد

أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من سداد؟

فقال لها وهل هذا مسروق.

قالت: بل كلامى.

قال: إن كان كلامك فامسكى المعنى وغيرى القافية.

فأنشدت تقول:

obeikandl.com

قـولي لطيفـك ينـثني عـن مضـجعى وقـت الهجـوع

كـى أسـتريح وتنطفـى نـار تـأجج فـى الضـلوع

دنــف تقلبــه الأكــف علــى بســاط مــن دمــوع

أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من رجوع؟

فقال أمير المؤمنين أنت من أى هذا الحى؟

قالت: من أوسطه بيتاً، وأعلاه عموداً.

فعلم الأمير أنها بنت كبير الحى، ثم قالت: وأنت من أى راعى الخيل؟ فقال من أعلاها شجرة: وأينعها ثمرة، فقبلت الأرض وقالت: أيد الله أمير المؤمنين ودعت له وانصرفت مع بنات العرب. فقال الخليفة لابد من أخذها. فتوجه جعفر لأبيها وقال أمير المؤمنين يريد ابنتك، فقال حباً وكرامة تهدى جارية لأمير المؤمنين مولانا. ثم جهزها وحملها فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها ما يستره بين العرب من الأنعام. ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة إلى رحمة الله، فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب. فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست لباس الحزن وقامت النعى. وسألها الخليفة من أعلمك بهذا الخبر؟ قالت: وجهك يا أمير المؤمنين. فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها وأقامت مدة وهى حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم.

❖❖❖

أبو دلامة الشاعر والسفاح[1]

(روى) أن أبا دلامة الشاعر كان واقفاً بين يدى السفاح فى بعض الأيام فقال: سلنى حاجتك.

فقال له أبو دلامة: أريد كلب صيد.

فقال: أعطوه.

فقال: ودابة أتصيد عليها.

فقال: أعطوه.

فقال: وغلام يقوم على الكلب والصيد.

فقال: أعطوه.

فقال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه.

فقال: أعطوه.

فقال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال، ولا بد لهم من دار يسكنونها.

فقال: أعطوه داراً... ثم قال: وإن تكن لهم الدار فمن أين يعيشون.

قال: قد قطعتك عشر ضياع عامرة وعشر ضياع من الفيافى الغامرة.

قال: فما معنى الغامرة؟

قال: التى ليس فيها نبات.

قال أبو دلامة: قد أقطعك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة من فيافى بنى سعد. فضحك الخليفة وقال: أعطوها كلها عامرة.

قال الحافظ: فانظر إلى ظرفه بالمسألة ولطفه فيها. كيف ابتدأ

---

[1] أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس. مرجع سابق، ص 50.

obeikandl.com

بكلب فسهل القضية وجعل يأتى بمسألة مسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ما سأله. ولو سأل ذلك بديهة لما وصل إليها.

هذه الصور التى عرضناها، والكتاب الشعبى الذى قدمناه إنما هو حصيلة من ثمرات الفكر العربى، والحياة الشعبية التى عاشها من سبقونا فى هذه الدنيا، التى تتجدد مناظرها كل يوم، وتمر أحداثها كل ساعة، وتتغير أحوالها فى كل لحظة !! ولكن الذى يبقى هو التاريخ الذى يسجل، والقلم الذى يسطر، والكتاب الذى يحوى بين صفحاته غرائب الدنيا وعجائبها، من مشارق الأرض ومغاربها !!

وكم فى أرض الوطن العربى، وأمجاده التاريخية، وحياة شعبه الكريم، من كنوز دفينة، ومن درر ثمينة، ومن قصص وطرائف، وآداب وأشعار، وحكم وأمثال. ما يكون دليلاً للباحثين، ومثالاً للساردين، وموعظة وفخراً للمتحدثين..[1]

❖❖❖

رابعا: الحكايات الشعبية

حكاية: الأخوة الثلاثة الأذكياء

يحكى أنه كان هنالك فى إحدى المدن "باشا" لديه ثلاثة أولاد، وكانوا يدرسون لدى "الملا" الذى خصصه والدهم الباشا لكى يعلمهم القراءة والكتابة.

---

(1) لمزيد من التفصيل راجع :
التراث الشعبى. مجلة تصدر كل شهرين عن وزارة الثقافة والفنون، دار الجاحظ للنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، العددان الأول والثانى، السنة العاشرة، 1979م.

obeikandl.com

كان هؤلاء الأخوة قد تربوا بعز ودلال فى بيتهم، وامتازوا بالمعرفة والذكاء بعد أن أكملوا دراستهم أمر الباشا أبناءه الثلاثة أن يتركوا البيت والمدينة وأن يغادروهما لمدة من الزمن وأن يتجهوا لأية منطقة يصبون إليها.

كان الباشا يريد من فعلته تلك أن يجعل أولاده الثلاثة يشعرون بضيق العيش أثناء السفر والتجوال، وأن يواجهوا مصاعب أيام الفقر إن واجهتهم فى المستقبل.

خرج الأخوة الثلاثة من البيت والمدينة طاعة لأمر والدهم وظلوا يسيرون من قرية إلى أخرى حتى وصلوا إلى منطقة خضراء كثيرة الحشائش والأعشاب فرأوا من المناسب أن يستريحوا فيها لمدة من الزمن بعد أن أدركهم التعب.

بعد برهة من جلوسهم قال الأخ الأكبر لأخويه:

(يا أخوتى لقد كان هنا بغل لم يقضم الأعشاب الموجودة على أحد جانبيه، لكونه أعور، وإن إحدى أسنان جانبه الآخر ساقط بدليل بقاء بعض الأعشاب بدون قضم على ذلك الجانب).

تعجب الأخوان من كلام الأخ الأكبر فقالا له باندهاش: (وكيف عرفت ذلك؟!).

فأجابهما قائلاً: (هذه هى آثار استلقاء البغل. وتستطيعان أن تعرفا كون إحدى عينيه عوراء لكون أعشاب هذا الجانب باقية على حالها، بينما أعشاب الجانب الآخر قد قضم بعضها وبهذا تستطيعان أن تعرفا أن أحد أسنان ذلك الجانب ساقط).

بعد برهة قال أخوهم الأوسط مخاطباً أخويه: (لقد كان ذلك البغل نائماً هنا وكان يحمل متاعاً على جانبيه. وعلى أحد جانبيه كان يحمل عسلاً وعلى الجانب الآخر كان يحمل شيئاً آخر).

تعجب أخواه من كلامه وسألاه عن كيفية علمه بذلك؟ فأجابهما قائلاً: (ألا ترون الذباب مجتمع على مكان ذلك الجانب المحمل بالعسل؟).

بعد برهة قال الأصغر لأخويه: (لقد ركبت البغل أثناء نهوضه امرأة حامل، وهذه هى أثار أصابعها عندما ركبت البغل ومن ثم أنهضته من استلقائه).

أثناء حديثهم مر بجانبهم رجل يبدو عليه أنه يبحث عن شئ مفقود. فسألهم الرجل عندما رآهم (أيها الرجال.. ألم تروا بغلى المفقود الذى أبحث عنه منذ مدة طويلة؟).

فأجابه الأخ الأكبر بصيغة تساؤل قائلاً: (يا خال. هل كانت إحدى عينى بغلك عوراء وأحد أسنان جانبه الآخر ساقطاً؟). فأجابه الرجل بسرعة قائلاً: (نعم نعم أنه هو).

ثم تكلم الأخ الأوسط فقال للرجل: (يا خال. هل كان بغلك على أحد جانبيه يحمل عسلاً وعلى الجانب الآخر كان يحمل شيئاً آخر)؟. فأجابه الرجل بسرعة قائلاً: (نعم نعم أنه هو).

بعدها تكلم الأخ الأصغر فقال للرجل (يا خال. هل كانت تركب بغلك امرأة حامل؟). فأجابه الرجل بسرعة (نعم نعم كانت تركب البغل امرأة حامل).

فرح الرجل صاحب البغل لأقوال هؤلاء الأخوة، ثم قال لهم: (أيها الرجال. لقد قلتم الصحيح وبسرعة أرجعوا لى بغلى المفقود وما كان معه).

فقال الأخوة للرجل صاحب البغل بأنهم لم يروا البغل ولا ما كان معه. فقال الرجل لهم (أنكم سرقتم بغلى وما كان معه).

كان الوقت بعد الظهيرة عندما التقى هؤلاء الرجال الأربعة فى ذلك المكان القريب من إحدى المدن التابعة للسلطان، وعندما لم يقتنع الرجل بتبريرات هؤلاء قال لهم بأنه سوف يشتكى عليهم لدى الباشا فى تلك المدينة القريبة منهم.

ساروا جميعاً نحو المدينة وعندما وصلوا بالقرب منها اعترض طريقهم حراس المدينة فسألوهم عن مقصدهم فأجابهم الرجل صاحب البغل المفقود قائلاً: (أيها الحراس، هؤلاء الأخوة الثلاثة قد سرقوا بغلى وما كان معه. وبالرغم من إلحاحى عليهم بإرجاع ما سرقوه. إلا أنهم ينكرون قيامهم بأية سرقة فلم أجد من سبيل للحصول على ما سرقونى إلا أن أتجه نحو باشا هذه المدينة لأشكو حالتى لديه.

بعدها ألقى الحراس القبض على الأخوة الثلاثة وجلبوا الرجل معهم إلى مقر الباشا. فقال أحد الحراس للباشا (أيها الباشا المبجل.. هذا الرجل يدعى بأن هؤلاء الأخوة الثلاث بد سرقوا بغله وما كان معه) فأمر الباشا بوضع الأخوة فى الحبس حتى الصباح لكى يحقق معهم فيما بعد.

بعد صلاة العشاء أمر الباشا أتباعه بأن يعلمون بعض أحاديثهم

وما يقوله هؤلاء الأخوة فيما بينهم.

كان الطعام الذى جلب مكوناً من رز ولحم.. بعد أن تناول أخوهم الأكبر لقمة واحدة منه قال لأخويه: (.. أن طعم هذا الرز تنبعث منه رائحة الأموات)، بينما قال الأخ الأوسط (يا أخوتى أن طعم هذا اللحم كطعم لحم الكلاب)، بينما قال أخوهم الأصغر (يا أخوتى أن الباشا هو نغل وأنه من ذرية الطباخ الذى كان فى بيتهم).

أثارت الباشا كلمات وأقوال هؤلاء الأخوة فقرر أن يعاقبهم فى الصباح أشد العقاب على ما تفوهوا به. وعندما حل الصباح أمر الباشا أتباعه بجلب الأخوة إلى مقره.

نسى الباشا قضية الرجل صاحب البغل المفقود وبدأ يسألهم عما قالوه ليلة أمس.

سأل الباشا أخاهم الأكبر قائلاً:(كيف تقول إن الرز تنبعث منه رائحة الأموات؟).

فأجابه الأخ الأكبر بدون خوف (أيها الباشا.. إن كلامى صحيح. وأنى لا أكذب معك).

انفعل الباشا لإصرار الأخ الأكبر على قوله وأمر بإحضار الفلاح الأجير الذى حصد الرز، فقال له بعد أن أحضروه (قل لى. هذا الرز لأى أرض يعود؟).

فأجابه الفلاح الأجير قائلاً (أيها الباشا المبجل أنه يعود لأرضك).

فقال له الباشا بغضب (اسمع. قل الحق وإلا أمرت بقطع رأسك).

فقال الفلاح الأجير: (أيها الباشا المبجل. كانت هنالك مقبرة فوق أرض

بجانب أرضك وكانت تلك الأرض جيدة لزراعة الرز بعد إغراقها بالمياه، فزرعت ما تبقى من الرز فوق تلك المقبرة).

اقتنع الباشا بكلام الأخ الأكبر بعد أن سمع ما قاله الفلاح الأجير. ثم اتجه الباشا نحو الأخ الأوسط فقال له: (كيف تقول بأن طعم اللحم يشبه طعم لحم الكلاب؟!).

فأجابه الأخ الأوسط قائلاً: (أننى مصر على كلامى وأننى لم أكذب معك). فأمر الباشا بإحضار الراعى لكى يتحقق من صحة كلام الأخ الأوسط.

بعد أن أحضروا الراعى قال الباشا له: (أيها الراعى ذلك الخروف الذى جئتنى به أمس لأية شاة يعود؟).

فأجابه الراعى قائلاً: (أيها الباشا العزيز. أنه يعود لإحدى شياهك).

فقال له الباشا بعد أن أثار غضبه (أيها الراعى قل الحقيقة وألا أمرت بقتلك).

فأجاب الراعى قائلاً: (أيها الباشا العزيز. ماذا أخفى عليك؟ فى حينها ماتت الشاة التى ولدت ذلك الخروف الذى جئتك به أمس وكانت لدينا كلبة حلوب فقمت بتربية ذلك الخروف بحليب تلك الكلبة).

اقتنع الباشا بجواب الراعى وبصحة كلام الأخ الأوسط، ثم اتجه الباشا بعدها نحو أخيهم الأصغر، فقال له: (كيف تقول أن الباشا نغل وبأننى من ذرية الطباخ الذى كان فى بيتنا؟!).

فكرر الأخ الأصغر ما قاله (أيها الباشا. أنك من ذرية الطباخ

obeikandl.com

الذى كان فى بيتكم. وإن لم تقتنع بكلامى اسأل والدتك وتحقق من صحى قولى معها).

فأمر الباشا بإحضار والدته فقال لها بعد أن أحضروها: (يا والدتى قولى لى حقيقة أبى!! فإن لم تقولى فسوف أقطع رأسك بهذا السيف!!)

أكدت له والدته لأكثر من مرة بأنه من ذرية رجلها الحقيقى (يا أبنى. أنك ابن أبيك). فكرر الباشا القول عليها (قولى لى الحقيقة يا والدتى وألا قطعت رأسك بهذا السيف).

عندها لم تجد والدته مفراً فقالت له: (يا عزيزى.. لا أدرى ماذا أخفى عليك. لقد كان والدك متزوجاً من ثلاث نساء وأنا واحدة منهن. ولم يمن الله على والدك بولد من نسوته الثلاث. فأقمت علاقات مع الطباخ فى بيتنا لكى أنجب له ولداً. لذا فإنك من ذرية ذلك الطباخ !).

كانت كلمات والدته كالصاعقة على رأسه ولكنها أقنعت الباشا بصحة كلام الأخ الأصغر من الأخوة الثلاث، ثم التفت الباشا نحو الرجل صاحب البغل المفقود فقال له (أن هؤلاء الأخوة الثلاثة لم يسرقوا بغلك وما كان معه. بل أن ذكاءهم جعلهم يحددون مواصفات بغلك المفقود ونوعية المرأة والمتاع الذى كان معه) ثم أمر الباشا بالعفو عن الأخوة الثلاثة لذكائهم وأن يخلوا سبيلهم لكى يرجعوا إلى والدهم فى منطقة سكناهم.

المعروف عن الباشوات والأغوات أنهم كانوا يملكون غرفة كبيرة تسمى (الديوه خان) يقومون فيها بحل المنازعات بين الناس ويعتبر

ذلك (الديوه خان) مقراً لسلطتهم ونفوذهم.[1]

❖❖❖

حكاية: كيف خدع الثعلب الدب

كان هناك مرة ثعلب حيث محتال ككل الثعالب، ظل يبحث عن الطعام طوال الليل، دون أن يظفر بشئ، وما إن أخذ ضوء النهار ينتشر شيئاً فشيئاً، حتى اختبأ تحت شجيرة، قرب الطريق العام، يفكر بالسبل والأساليب التى يمكن أن ينال بواسطتها ما يأكله.

لم يكد يستلقى وأنفه فوق كفيه الأماميتين، حتى شم رائحة سمك، لهذا رفع رأسه قليلاً، ونظر إلى الطريق العام، فرأى عربة يجرها ثوران، تقبل نحوه.

قال فى نفسه: "يا له من حظ سعيد ! هذا هو الطعام الذى كنت أنتظره !". وحالاً زحف من تحت الشجيرة، واستلقى وسط الطريق، كما لو كان ميتاً.

سارت العربة، رآه الفلاح الذى كان يسوق الثورين، فظن أنه ميت، أوقف الثورين، تقدم نحو الثعلب، نظر إليه بإمعان، فلم يلمس أى أثر فيه للحياة، فقال فى نفسه: "ما الذى حمل الثعلب لأن يموت ميتة كهذه على قارعة الطريق؟ أظن أن جلده يصلح لأن يكون فروة أنيقة لمعطف زوجتى!.".

---

(1) لمزيد من التفصيل راجع:
التراث الشعبى. مجلة تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1986، ص 32-35.

openkandil.com

لم يكد ينتهى من هذا الكلام، حتى أمسك الثعلب من قفا عنقه، وجره إلى العربى، ثم رفعه وألقاه فوق السمك، وحث ثوريه لينطلقا، فاندفعا بسرعة أكثر من ذى قبل، ليواصلا الرحلة.

سار الرجل إلى جانب الثورين، واستمر يحثهما لأنه كان مستعجلاً كى يصل على البيت ويسلخ جلد الثعلب، ولكن ما أن بدأ الثوران بالمسير حتى أخذ الثعلب يتحرك فى مكانه، ويزحلق السمك ليدفع السمك خارج العربة، وبين صياح الرجل، وصرير العجلات، سقط الكثير من السمك من العربة.

حين أسقط الثعلب اللص كمية السمك فوق الطريق، قفز بخفة ورشاقة، ليلتقطه عن الطريق، ما أن جمعه وكومه، حتى وضعه على كتفه، وحمله إلى وجاره، وأخذ يزدرده بنهم شديد لأنه كان جائعاً جداً.

لم يكد يباشر بالأكل، حتى رأى الدب آتياً. قال له الدب: "شهية طيبة، يا أخى! يا لها من كمية كبيرة! دعنى آكل قليلاً، فأننى أوشك أن أموت جوعاً".

- يمكنك أن تكتفى بالصغير فقط، أيها الأخ، أننى لم أتحمل كل هاتيك المشقات لأرضى خاطر أى شخص كان، إذا كنت فى شهية مميتة للسمك، فاذهب واغطس ذنبك فى الماء، كما فعلت أنا، وسوف تحصل على ما يكفيك من السمك لتأكله.

- أرنى كيف أفعل، يا أخى! ليس لدى أى فكرة عن طريقة اصطيادك للسمك.

كشر الثعلب حينئذ وقال:

" واحسرتاه يا أخى! ألا تعرف أن تلك الشهية ستحملك لتتعلم ما لم تحلم به من قبل؟ انتبه أيها الأخ: أنك تريد أكل السمك، أليس كذلك؟ اذهب الليلة إلى البركة القريبة من الغابة، اغطس ذنبك فى الماء، والزم الهدوء حتى يطلع النهار، ثم شد بقوة نحو الشاطئ، وسوف تحصل على كمية من السمك، قد تكون ضعفى الكمية التى حصلت عليها، أو ثلاثة أضعافها على الأقل".

وبدون أن يتفوه الدب بكلمة سار مباشرة إلى البركة قرب الغابة، وغطس ذنبه كله فى الماء.

هبت ريح باردة تلك الليلة، حتى أن البرد كان يمكن أن يجمد اللسان فى فم المرء، أو الرماد تحت النار، تجمد ماء البركة بصلابة، فأمسك ذنب الدب، وعض عليه كملزمة.

مر وقت لا بأس به، والدب يتحمل الألم فى ذنبيه، كمل يتحمل البرد، حتى نفذ صبره، سحب وشد بكل ما عنده من قوة، لكن وا حسرتاه!، بدل ان يصطاد الدب المسكين السمك، فقد ذنبه!.

بدأ الآن يعوى خائفاً، ويقفز من الألم، وامتلأ قلبه حقداً على الثعلب الذى احتال عليه هذه الحيلة الماكرة، وذهب منه لينتقم منه، لكن الثعلب المحتال عرف كيف يتجنب طريق الألم، فقد ترك وجاره وانسل إلى تجويف شجرة قريبة، وراح ينظر إلى الدب الذى فقد ذيله ويصيح: " سلاماً، أيها الأخ ! هل أكل السمك ذنبك، أو أن الشره جعلك تصطاد كل سمك البركة؟.

ازداد الدب ألماً واحتراقاً، وهو سمع ضحك الثعلب عليه، فلطم الشجرة لطمة قوية، لكن الثقب كان ضيقاً، فلم يستطع أن ينال من الثعلب مأربا... بحث عن عود معقوف، واخذ يجرف به داخل الثقب، لكى يشبك الثعلب، ويجره إلى الخارج، فيحطمه شر تحطيم، وحن شبك ساقه صاح: " شد بقوة أيها الأحمق، فأنا لا أهتم، لأنك تشد الشجرة""..

وحين شبك جزءاً من الشجرة صاح: "لا تفعل ذلك، يا أخى، وإلا فإنك ستكسر ساقى !".

صار الدب أكثر حمية وهياجاً، ولكن عبثاً، لم يستطيع أن يظفر بالثعلب، فقد ظل داخل التجويف وهو يضحك حتى تركه الدب الذى انصرف متألماً وظل ذنبه قصيراً منذ ذلك اليوم.[1]

❖❖❖

حكاية: المـــــرأة الحمقـــاء

كان هناك رجل فقير.. وبينما هو يحرث الأرض ذات يوم.. ضرب المحراث أخدوداً فإذا به مال وفير.. وعندما تأمل الرجل فى الأمر أخذ يفكر ماذا سيقول لزوجته.. إذ كان خائفاً إن قال لها الحقيقة فإنها تفشى السر لجيرانها.. فيقبض عليهم ويستدعون للمثول أمام القضاء.

ولكى يتدبر الفلاح أمر ذلك السر على طريقته فقد ذهب واشترى أرنب وسمكة، وعندما جاءته زوجته بطعام الغداء.. قال لها بعد

(1) مجلة التراث الشعبى.، المرجع السابق، ص 69-71.

أن انتهى من الطعام: لنقلى سمكة ؟

فقالت له زوجته:

أين تظن نفسك؟ كيف لنا أن نصطاد سمكة هنا فى الحقل !

فقال لها:

هيا يا امرأة. فلقد رأيت تواً سمكتين عندما كنت أحرث قرب شجيرة الزعرور الأسود، ثم دلها على شجرة الزعرور الأسود.

(وما أن أصبحا بإزائها.. حتى صاحت المرأة):

– انظر أيها العجوز، هناك سمكة فعلاً.

فقال لها: ألم أخبرك:

ثم طرح بمهماز الثور أمام الشجرة فظهرت السمكة على الفور.

ثم قال لامرأته: لنصطد أرنباً.

فقالت له زوجته:

لا تمزح أرجوك.. كيف تصطاد أرنباً وليس معك بندقية.

فقال لها:

لا عليك.. سأطرحه أرضاً بمهماز الثور.

وما هى إلا مسافة قصيرة من السير حتى صرخت المرأة:

– انظر. هناك أرنب على الشجرة التى هناك.

ثم طرح الرجل بمهمازه فسقط الأرنب.

واستمر الزوج وزوجته يعملان حتى أوشك النهار على الانقضاء.

وعندما حل المساء قفلا عائدين على منزلهما..

وبينما كانا يسيران فى الطريق المحاذى للكنيسة سمعا صوت

obeikandl.com

حمار ينهق.

قال الرجل لأمرأته:

أتعلمين ما ينهق الحمار؟ أنه يقول "يقول القس فى موعظته بأن مذنباً سيظهر قريباً منبئاً بنهاية العالم".

ثم مضى الاثنان فى طريقهما وعندما مرا برواق المدينة.. أطلق الحمار نهيقاً آخر عالياً..

قال الرجل لزوجته:

يقول الحمار بأن القاضى وكاتب المحكمة قد ضبطا لتوهما متلبسين بالاختلاس من الأموال العامة.

ومرت الأيام.. وكان الزوج وزوجته يتنعمان بالمال الذى عثرا عليه. والجيران لا يكفون عن سؤالهما:

- من أين حصلتما على هذا المال؟

إلى أن جاء اليوم الذى قالت فيه الزوجة لإحدى جاراتها: لن أمانع فى إخبارك عن مصدر المال.. ولكن أرجوك لا تقولى ذلك لأحد. ثم أخبرتها بأن زوجها هو الذى عثر على تلك اللقية من النقود فى الحقل.

وما كان من تلك الجارة إلا وأن أخبرت القاضى بالذى سمعته.. فاستدعى الأخير بدوره الزوجين للمثول أمام القضاء.. وعندما سأل القاضى الرجل عن النقود أنكرها تماماً.. وادعى بأنه لم يعثر على أية نقود.. ولا حتى على فلس واحد.. وبأية طريقة من الطرق.

فقال له القاضى:

حسناً.. زوجتك هى التى ستخبرنى.

obeikandl.com

فقال الرجل:

ما الفائدة من سؤالها وهى امرأة حمقاء.

فقالت له زوجته:

لا تجرؤ على قول كهذا بحقى مرة أخرى.. ألم نجد النقود عندما اصطدنا سمكة تحت شجرة الزعرور.

فقال الرجل:

هـا قـد سمعـت بنفسـك يـا سـعادة القاضـى "نصـطاد سمكـة فـى أجمة"... وماذا بعد؟

فقالت له:

ألا تذكر كيف أصبت الأرنب من فوق الشجرة بمهماز الثور.

فقال الرجل:

ألم أقل لك يا سعادة القاضى؟ أنك تضيع وقتك مع امرأة حمقاء.

فقالت له:

لا أحمـق غـيرك.. أنسـيت عنـدما كنـت فـى الطريـق إلى البيـت وسمعنا ونحن نمر بالكنيسة الحمار ينهق ويقول بأن القس يبشـر بمذنب سيظهر وسيكون ذلك علامة على نهاية العالم.

فقال الرجل:

انظر.. ألم أكن على حق يا سعادة القاضى.. أرى من الأفضل أن تتركهـا وشـأنها وإلا ارتكبـت مخالفـة إسـاءة بحـديثها الأحمـق هذا.

فاستشاطت المرأة غضباً وقالت:

ألا تذكر بأننا عندما مررنا برواق المدينة وأطلق الحمار نهيقاً عالياً أنك قلت لى بأن القاضى وكاتب المحكمة قد ألقى عليهما القبض.

وهنا قفز القاضى على قدميه وقال للرجل:

خذها إلى بيتك.أيها الرجل الطيب.فإنها تبدو فعلاً فاقدة العقل!.[1]

حكاية: الساحرة التى تجىء مع الزوبعة

أنه لمن الأرجح أن تكون هناك داخل كل زوبعة ساحرة، وجدى هو الذى أخبرنى عن ذلك. فقد كان الموسم موسم حصاد الحنطة. وكان هو وشريكه جالسين يتناولان وجبة الغداء تحت حزم أعواد الحنطة..

ولكى لا نطيل القصة عليكم.. فبينما كان جدى يجلس هناك ويأكل جاءت زوبعة هائلة اجتاحت الأرض وقلبت حزم الحنطة. وعندما وصلت إلى الحزمة التى كان جدى وصديقه يجلسان تحتها رمى جدى سكينه باتجاه مركز الزوبعة اتقاء لشرها.. ومباشرة بعد ذلك أخذ جدى يبحث عن سكينه.. ولكن دون جدوى. ماذا حدث لها؟ وأين ذهبت لا يعلم وكل الذى يعلمه أنها قد تلاشت فى الهواء.. ولم تكن هناك فائدة من إضاعة الوقت فى البحث عنها.

وعندما حل الشتاء.. ذهب جدى ذات يوم للقرية لزيارة صديقه الذى شاركه فى حصاد الحنطة. وقد ضيفه صديقه ذاك بوجبة خفيفة

(1) مجلة التراث الشعبى، المرجع السابق، ص 72-75.

obeikandl.com

من الطعام وقال له:

- جرب هذا البيكون البارد يا رفيقى.

فقال له: شكراً يا صديقى، سأجربه.

- حسناً. اجعل نفسك فى بيتك..

ثم وضع الصحن أمامه وسألته زوجة صديقه.

- هل أجلب لك سكيناً. ثم أعطته سكيناً.

وأمعن الرجل النظر فى السكين ثم قال:

- أقول يا سيدة، إن هذه السكين سكينى.

فقالت الزوجة: للحقيقة، أنها ليست لك.

فقال: لماذا؟ أنا متأكد أنها لى.

فقالت له: حسناً. كيف فقدتها؟

فقال: عندما كنا نحصد الحنطة فى هذا الحقل. فاجأتنا زوبعة مخيفة وكانت على وشك أن تكتسحنى.. لذلك فقد رميت سكينتى على الزوبعة.. ثم فقدتها منذ ذلك الحين.

فقالت الزوجة: حسناً.. سأخبرك شيئاً لا تفعلها مرة أخرى. انظر: فهذا أثر سكينك على كعب قدمى. وأنا التى أخذت منك السكين فى ذلك اليوم.

ولهذا السبب فأنا أقول أن هناك ساحرة داخل كل زوبعة.[1]

❖❖❖

(1) مجلة التراث الشعبى.، المرجع السابق، ص 76-77.

obeikandl.com

العادات والتقاليد الشعبية

لاشك أنه من قبيل الأمور البديهية لدى الباحثين الفولكلوريين أن يقال أن الملامح المشتركة، مادية كانت أم معنوية، هي التي تمهد الطريق لنشوء الأشكال الفولكلورية المتعددة، سواء كانت هذه الأشكال أشكالاً فنية، كالأغاني أو الحكايات أو الأمثال...الخ، أو أنماطاً سلوكية، كعادات الاحتفال بالميلاد، والختان، والزواج أو المراسيم المتبعة في الجنازة، ودفن الموتي، وتقبل العزاء... الخ.

ويهمنا في هذه الدراسة الموجزة أن نوضح أن دراسة الإطار الاجتماعي الذي يشمل العادات والتقاليد والمعارف الشعبية، باعتبارها في جانب من جوانب تشكل أساساً الملامح المشتركة للشعب أو الجماعة الشعبية.

أياً ما كان المصطلح الذي يستخدمه الدارس، تبعاً لبيئة المجتمع المدروس، وعلاقة هذا الجانب بجانب آخر هو الجانب الإبداعي الذي تمثل في الحكايات والأغاني والموسيقى والأمثال والرقص وغير ذلك من أشكال أو أنواع فنية شعبية هو من صميم اهتمام دارس الفولكلور عامة.

إن الفولكلور تواصل إنساني بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والجماعة التي ينتمي إليها، وبين الجماعة والجماعات الأخرى التي تشترك معها في كثير من السمات والخصائص.

وهذا التواصل يتم أساساً من خلال عملية الإبداع، وعادة الإبداع

التي يقوم بها الإنسان معبراً به عن المجموعة المتجانسة التي ترتبط بها، وعن سماتها الجمعية.

كما أن هذا التواصل أيضاً يتم عن طريق المشاركة، والمشابهة، في مجموعة من أنماط السلوك الجمعية، التي يحقق من خلالها الإنسان انتماءه إلى الجماعة، وارتباطه بها، وهو ما لا يستطيع الحياة، بشكل طبيعي، دون الوفاء بها.

وعلى ذلك يمكننا القول إن الفولكلور في جوهره ظاهرة طبيعية، مادية ومعنوية، تنشأ من داخل الجماعة، وتعيش عليها الجماعة أيضاً، في جانب مهم من جوانب ممارستها الحياتية.

ولعل أكثر الموضوعات التي تستثير حماس كثير من الفولكلوريين، ودارس الأنثروبولوجي لأهميتها الكبيرة، تلك العلاقة المشتركة، والصلة الوثيقة بين البيئة الفكرية والفنية والثقافية التي تمثلها الأشكال التعبيرية قولية كانت أو حركة أو تعمية أو اعتقادية، وبين العادات والتقاليد الشعبية من ناحية، بينها وبين الناس أنفسهم، من ناحية أخرى، باعتبار أن هذه الأشكال التعبيرية الفنية والسلوكية وغيرها، صنعها الناس أنفسهم لأنفسهم.

ولعلنا لا نغالي كثيراً إذا نظرنا إلى العادات والتقاليد على أنها الجانب السلوكي في الفولكلور، في مقابل الأدب والموسيقى وفنون التشكيل وغيرها، باعتبارها تمثل الجانب الفكري أو الفني.

ونحن في الحقيقة لا نستطيع أن نفصل بين الجانبين، وإلا غمض علينا كثير من الأمور التي دونها أن نستطيع فهم الفولكلور باعتباره

ظاهرة إنسانية متكاملة.

وتأتي أهمية العادات والتقاليد هنا من أنها هي الوعاء الذي يضم كل الأشكال الأخرى، هذا بالإضافة إلى أنها في حقيقة الأمر هي المسئولة عن انتشار هذه الأشكال وبقائها، وانتقالها من جيل إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى، عبر الزمان والمكان، وهي أيضاً التي تشكل الظواهر الفنية وتعطيها مضمونها.

إننا عندما ننظر إلى الفولكلور باعتباره كلاً متكاملاً، لا ينفصل فيه الأداء عن المؤدين، ولا ينفصل فيه النوع الفولكلوري عن الأسلوب الذي يتم به تقديمه، أو استقباله، أو المشاركة فيه- سواء كانت هذه المشاركة مباشرة، كما في الغناء والرقص، أوفي الاحتفالات المختلفة وغيرها، أو كانت غير مباشرة كما في حكاية الحكايات والسير وما إلى ذلك – إنما ننظر في حقيقة الأمر إلى الظاهرة ككل، وأساسها الاجتماعي، محاولين أن نتبين العلاقات المتعددة التي تربط بين هذه الأجزاء وتفاعلاتها داخل بنية المجتمع بتجلياتها الكثيرة التي تقوم بدور مهم في تأكيد الاتصال والتواصل بين الناس، والتي لا يمكن من وجهة نظرنا فصل جزء منها عن الآخر، إذا أردنا فهم الظاهرة فهماً صحيحاً متكاملاً.

إن الفولكلور يتم عرضه، أو أداؤه، أو ممارسته بين أناس لهم الهوية نفسها إلى حد كبير، وهو ما قلناه من قبل بشكل آخر عندما أشرنا إلى الملامح المشتركة التي تميز الجماعة.

لقد ذهب هرسكوفيتز إلى أن الأدب الشعبي هو الاهتمام الأول

للفولكلوري، أما العادات والتقاليد والمعتقدات وما إلى ذلك فإنه كانت يوماً ما مجالاً لاهتمام الفولكلوريين، ولكنها لم تعد كذلك الآن.

كما أن بعض الباحثين الفولكلوريين اهتموا بالعادات والمعتقدات لفترة قصيرة من الزمن، ثم انصرفوا عنها بعد ذلك إلى المأثورات والفنية، ولم يعودوا يركزون على هذه الجوانب، مما أدى إلى تقهقر دراسة العادات والمعتقدات إلى الخلف، ولكن هذا لإنكار لأهمية الدراسة أو التخلي عنها لم يكن أمراً طبيعياً، ولم يكن نابعاً من ضرورة علمية في حقيقة الأمر.

وإذا كنا نركز في هذه الدراسة على علاقة العادات والتقاليد والمعتقدات بالأدب الشعبي فذلك لأن هناك أمثلة كثيرة تشير إلى أن عدداً كبيراً من الدارسين الفولكلوريين قد أكدوا أنه لا يمكن فصل العادات والتقاليد والمعارف الشعبية عن مجال الفولكلور، ورفضوا ذلك الزعم القائل بأن الأدب الشعبي فحسب هو الفولكلور، أو أنه المجال الوحيد لعمل الفولكلوري جمعاً ودراسة.

إن الدراستين القيمتين عن "الفولكلور في العهد القديم"، "والفولكلور في البلاد الإنجليزية والإسكتلندية الشائعة"[1]، يقدمان لنا نموذجين ممتازين لما نذهب إليه من صعوبة الفصل بين الأدب الشعبي والعادات والتقاليد الشعبية؛ إذ لا يمكن فهم هذا الأدب أو تفسيره منفصلاً عن العادات والتقاليد المأثورة.

(1) راجع: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع للدكتور/ أحمد على مرسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص127: 129.

وحقيقة الأمر أن الأندريولوجيين التقليديين هم المسئولين عن هذا الفصل، على الرغم من أنه من الصعب جداً، بل يكاد يكون من المستحيل من وجهة نظرنا، وضع حدود أو خطوط فاصلة بين الظواهر الثقافية المتعددة، حتى عند الأنثروبولوجيين أنفسهم، مهما كان من تعسف البعض.

ولعلنا نتساءل هنا هل يمكن أن نعتبر الأساطير فناً أو أدباً حقيقة؟! وهل يمكن لنا أن نفصلها عن المعتقدات والطقوس؟ ألا توجد علاقة بينها وبين المعتقدات؟!

إننا نرى أن هذه التقسيمات صناعية إلى حد كبير، وأنها بعيدة عن الإقناع بالنسبة لمعظم الفولكلوريين الذين يحترمون مادتهم، ويحترمون أصحابها.

- **الأغانى الشعبية فى بعض المناسبات:**

ولعلي هنا اطرح مجموعة من التساؤلات والشواهد التي تؤكد ما نذهب إليه. هل يمكن لنا أن نفهم الأغاني التي تسمع في الاحتفال بميلاد الطفل، ومرور سبعة أيام على ميلاده، فيما هو معروف في المجتمع المصري "بليلة السبوع" مثل:

يا ملح دارنا كتر صبياننا..

يا ملح دارنا كتر عيالنا..

دون دراسة العادات التي تمارس في هذه المناسبة، من "رش الملح" وهز الغربال و"دق الهون" و"السير في أرجاء المنزل"...الخ. وهل يمكن فصل هذا كله عن الاعتقاد في تفضيل الذكور على الإناث، وارتباط

ذلك ببيئة المجتمع الاجتماعية والاقتصادية...الخ.

إن أغاني الختان مثلاً تصور العادات المتبعة في مناسبة الختان تصويراً دقيقاً، كما تتحدث عن الأشخاص الذين يوليهم المجتمع أهمية كبيرة في هذه المناسبة، كالطفل نفسه، والأم والأب والخال، بالإضافة إلى الحلاق أو المزين الذي كان – ومازال إلى حد ما – يقوم بعملية الختان، وكذلك ما تحفل به هذه المناسبة من ظواهر تمثيلية وتقديم الهدايا.. تقول إحدى الأغنيات..

مطاهرنا الصغير غالي.. وأسنان اللبن في فمه

وبشويش عليه يا مزين.. وأنت بتحضنه وتضمه[1]

ويقال في جزء من أغنية أخرى:

المغنية: يا أم المطاهر يا حلاوة بيضه

المرددات: يا أم المطاهر يا حلاوة بيضه

المغنية: هاتي الكساوي ولبسيه في الأوضة

المرددات: يا أم المطاهر يا حلاوة بيضه

المغنية: يا أم المطاهر زاينه ملبوسك

المرددات: يا أم المطاهر يا حلاوة بيضه

المغنية: وادعي حبابيك وحي ضيوفك

المرددات: يا أم المطاهر يا حلاوة بيضه

وفي أغنية أخرى، يقال:

(1) مطاهرنا: طفلنا الذي سيختتن، بشويش: بهدوء دون ألم.

obeikandl.com

المغنية: كان هنا من ساعة أبو المطاهر

المرددات: كان هنا من ساعة أبو المطاهر

المغنية: كان هنا من ساعة في أيده دوايه

بالدهب لماعه.. وراح المحلة..

بيجيب كساوي لابنه.. أبو المطاهر..

المرددات: كان هنا من ساعة أبو المطاهر[1]

وتتكرر الصورة نفسها بالنسبة للخال أيضاً، إذ يوضع مكان لفظ "الأب" "الخال" لتستمر الأغنية، مادحة الأب والأم، والخال والأسرة، وما قدموه للطفل وما يرجونه أنه في مستقبل حياته.

وإذا انتقلنا إلى مناسبة أخرى، وهي مناسبة الزواج – وما يرتبط بها من عادات متبعة، وأغنيات تتردد بداية عند إعلان الخطبة، وانتهاء بليلة الزفاف – فسنجد أننا أيضاً لا نستطيع أن نفصل بين الأغنيات وما يرتبط بها من عادات. تغني الفتيات في الليلة السابقة على ليلة الزفاف، وهي التي تسمى عادة ليلة الحنة، أغنيات كثيرة، يصورن فيها فرحة العروس، وطلبها من أمها أن تخضب لها يديها ورجليها بالحناء، وتأثرها البالغ لفراق أهلها:

المغنية: حنيني يا أمه حنيني..

وغزالي بكرة هايجيني

المرددات: حنيني يا أمه حنيني..

---

(1) بيضة: بيضاء، الكساوي: الملابس الجديدة، لبسيه: ألبسيه، الأوضة: الغرفة، زاينه ملبوسك: أنك تزينيين ما تلبسين، حبابيك: أحبائك، بالدهب لمعه: أي تلمع كالذهب، المحلة: المحلة الكبرى.

وغزالي بكرة هايجيني

المغنية: حنى أيديه.. وكعوب رجليه..

وغلاوتك يا أمه.. ها تعزي عليه...

حنيني..

المرددات: حنيني يا أمه حنيني..

وغزالي بكرة هايجيني[1]

المغنية: والليلة الجاية.. دخلة بصباحية..

وغلاوتك يابا.. هاتعز عليه.. حنيني..

المرددات: حنيني يا أمه حنيني.. وغزالي بكرة هايجيني[2]

إن هذه الأغاني تستمد معناها من الإطار الذي تغنى فيه، والعادات التي تصاحبها، والسياق الاجتماعي الذي ترتبط به، فإذا انفصلت عنه لم يعد لها التأثير نفسه، بل لعلها تصبح مدعاة للمسخرة والاستهزاء، والتفسيرات الغريبة المبتسرة. ويمكن لنا أن نضرب هنا مثلاً بأغنية شعبية شهيرة في مصر، نالت حظاً كبيراً من سوء الفهم، وابتذال التفسير، لأنها اقتطعت من إطار العادة التي تصاحبها، ففقدت وظيفتها ومعزاها. وهذه الأغنية هي:

المغنية: الطشت قال لي.. الطشت قال لي

يا حلوة ياللي.. قوي استحمي

المرددات: الطشت قال لي.. الطشت قال لي

(1) بكرة: غداً، هايجيني: يأتي إليَّ، هاتعزي عليه: يصعب على فراقك.
(2) الليلة الجاية: الليلة القادمة، دخلة: زفاف.

obeikandl.com

يا حلوة ياللي.. قوي استحمي

المغنية: حلفت ما ستحمى يا بيه..

إلا أن جابوا لي فستان لاميه

امشي واتمختر لك بيه..

واغني للي هواه شاغلني

المرددات: حلفت ما ستحمى يا بيه..

إلا أن جابوا لي فستان لاميه

امشي واتمختر لك بيه..

واغني للي هواه شاغلني[1]

..... إلى آخر الأغنية.

الأغنية تؤدى عادة في مناسبة الاحتفال بالزواج، وخاصة يوم الاحتفال بالزفاف للعروس، وكما هو معروف يبدأ الاحتفال بالعرس مبكراً جداً عادة في المجتمعات الشعبية، منذ قراءة الفاتحة، وإعلان الخطبة، وتقديم الشبكة، والبدء في تجهيز منزل الزوجية..الخ. حتى المرحلة الأخيرة وهي التي تعرف بليلتي "الحنة" و"الدخلة". وتسبق "ليلة الحنة" "ليلة الدخلة" وتكون عادة مساء يوم الأربعاء (ليلة الخميس كما يقال عنها في التعبير الشعبي عادة)، وفي هذه الليلة تخضب أكبر سيدات الأسرة، أو الأم، أو من يشتهر عنها أنها تحسن إعداد "الحنة" كفي العروس، وقدميها بالحناء، وقد تخضب جزءً من ذراعيها أو ذقنها، ولكن الأكثر شيوعاً هو

(1) الطشت: يستخدم في الاستحمام في ريفنا المصري، بيه: بك لقب يدل على الفخامة والعظمة.

obeikandl.com

خضاب الكفين والقدمين فحسب.

وتجتمع فتيات الأسرتين – أسرة الفتاة وأسرة الفتى – وصديقات العروس، كي يغنين لها طوال الليل تقريباً، حتى فجر الخميس وهو اليوم الذي يعقد فيه القران عادة، ويسمى مساؤه "ليلة الدخلة" كما تعد فيه العروس للزفاف بأن تستحم، وتزيل الحناء من كفيها وقدميها، و"الطشت" هنا هو الوعاء الذي تقف فيه العروس أثناء عملية الاستحمام، حتى لا تتسخ قدماها، ويصب عليها صديقاتها، وأمها، وسيدات الأسرة المسنات الماء، وهن يغنين هذه الأغنية وغيرها مما هو شائع في مثل هذه المناسبات.

ويصدق على هذه الأغاني ما يصدق على غيرها أيضاً.

فالأغاني الدينية مثلا لا تغنى في أي وقت أو في أي مكان، ذلك أن هناك مناسبات معينة تؤدى فيها هذه الأغاني كمناسبات الحج، سواء عند توديع الحجاج أو استقبالهم، وكمناسبة الاحتفال بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وميلاد الأولياء الصالحين الذين يعتقد فيهم الناس.

كما أن هذه الأغاني لا تؤدى أيضاً في أي مكان كيفما اتفق، وإنما تؤدى عادة حول الأضرحة أو في بيوت الحجاج. وقد تصاحب أداء العمل؛ إذ يتوسل العمال بالرسول عليه الصلاة والسلام، وبالأولياء، كي يتشفعوا لهم، ويساعدوهم على أداء عملهم، وتيسير رزقهم.. الخ..

ولا شك أنه يصبح من قبيل البديهي أن نشير أننا لن نستطيع فهم هذه الأغاني فهماً صحيحاً، سواء جمالياً أو اجتماعياً أو غير ذلك،

منعزلة عن العادات المصاحبة لها والمعتقدات التي تكمن داخلها وحولها.

فإذا نظرنا إلى نوع آخر من الأغاني، كأغاني "الندب أو العديد" (البكائيات)، سنجد أنها لا تؤدى إلا عند حدوث الوفاة في الأغلب الأعم، وقد تتردد في مناسبة الأربعين[1]، كما أنها لا تؤدى في مكان عام أو سرادق، وإنما تؤدى عادة في بيت المتوفى.

وعلى ذلك يمكننا القول إن كل نوع من هذه الأغاني مرتبط بمناسبة بعينها، وبعادة أو تقليد محدد، وبمكان معين، ومن ثم ينبغي أن يوضع ذلك في حسبان الجامعين والدارسين عند تصديهم لجمع المادة الشعبية أو دراستها؛ حتى لا تصل إلينا المادة عارية عن مصدرها، مقطوعة الصلة بمغزاها الاجتماعي، أو إطارها الذي تعيش فيه.

وقد يكون من السهولة بمكان – في حقيقة الأمر – أن نلمح الصلة المباشرة بين هذا اللون من ألوان الإبداع الشعبي – وهو الأغنية الشعبية – وبين الإطار الذي نبعت منه، وعبرت عنه، من عادات وتقاليد شعبية، وأن نقتنع بصعوبة الفصل بينهما.

- **الأسطورة والأمثال الشعبية:**

وقد يتساءل البعض هل يصدق الأمر نفسه على أنواع شعبية أخرى! ولعلي سأضرب هنا مثلاً بالأسطورة المصرية القديمة الشهرية "أسطورة أيزيس وأوزريس"، ذلك أن هذه الأسطورة في جانب من جوانبها تفسر لنا كيف عرف الإنسان المصري الزراعة، وكيف نظر إلى النيل

(1) راجع الأغنية الشعبية: مدخل إلى دراستها للدكتور أحمد مرسي، دار المعارف بمصر سنة 1983، ص 186: 188.

وفيضانه، وعلاقة كل ذلك بظواهر الحياة والكون من حوله، كما أن هذه الأسطورة تفسر عادة تحنيط الموتى عند قدماء المصريين، وعقيدتهم في الموت والخلود بعد الموت، فقد رأى المصريين في بعث أوزيريس الأمل في حياة خالدة، ولذلك كانت الطقوس التي تقام للموتي في مصر القديمة صورة مطابقة للشعائر والطقوس التي أقامها إيزيس وحورس وسائر الآلهة أمام جثمان أوزيريس.

وقد أشار الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس[1] إلى العلاقة بين ما كان يقوم به الفلاح المصري إلى عهد قريب من عادات تقترن بالغرس والحصاد، والوظيفة الأسطورية لأوزيريس الذي يموت ليبعث الحياة في النبات وفي الناس.

كما أشار إلى الممارسات التي تفسرها هذه الأسطورة، والتي مازالت موجودة حية بين المصريين، والتي ترتبط بصيانة الحياة من المرض والآفات وعلاجها بالرقي، وما يشبهها من غوائل الطبيعة. وينتهي إلى أن أسطورة أيزيس وأوزيريس قد انفرطت عقدها إلى مجموعة من العادات والتقاليد والمعارف، وحولها جميعاً تدور حكايات وقصص قد تقصر وقد تطول.

والأمثال الشعبية من أكثر الأنواع الفولكلورية ارتباطاً بالعادات والتقاليد والمعتقدات؛ فهي من حيث مضمونها تمتد لتشمل كل جوانب الحياة الإنسانية، وتعبر عن خبرة الإنسان والجماعة في مواجهة المواقف

(1) راجع: الحكاية الشعبية للدكتور عبدالحميد يونس، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، سنة 1968م، ص 27: 28.

obeikandl.com

المتعددة التي يواجهها كل منهما، وهي من حيث شكلها سهلة الحفظ والانتشار، ومن ثم يسهل الاستشهاد بها عندما يقتضي الأمر أو الموقف ذلك.

وقد لا يتسع المقام لكي نستشهد بكل الأمثال التي تعبر عن عادات أو معتقدات؛ ذلك أن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة مستقلة، ولكننا نورد هنا بعضاً من الأمثال التي توضح ما نذهب إليه من وثوق الصلة بين أشكال المأثورات الشعبية بعضها البعض مما يجعل من العسير فصلها أو تجاهل بعض منها، أو تمييز بعضها على البعض الآخر.

ففي مصر، حيث عرف المصريون الزراعة منذ فجر التاريخ، توجد كثير من الأمثال التي تعبر عن عادات المجتمع الزراعي وتقاليده ومعتقداته ومعارفه التي استقرت مرتبطة بالغرس والحصاد والري، والأوقات المناسبة للبذر، ولجمع المحصول، وعلاقات المشاركة، وما إلى ذلك.

ففي الأمثال الشعبية المصرية يقال: "إذا سبقك جارك بالتخضير، اسبقه أنت بالمسحة" أي إذا سبقك جارك بالحرث استعداداً لبذر الحب، فاسبقه أنت بتسوية الأرض وإعدادها وتمهيدها لكي تكون صالحة للزراعة.

ويقال أيضاً "الشرط عند الحرت يريح عند العرمه"[1]. أي أن ما يتم الاتفاق عليها منذ البداية يريح عند انتهاء الأمر.

(1) الحرت: الحرث، العرمة: الكومة من القمح المدروس.

وفي مثل آخر يقال "إن طاب ريحك درى ما في المواناه خيره، وإن ما طاب ريحك خلي تبناً مغطي شعيراً" [1] أي إذا واتتك الفرصة لتنجز عملك، فلا تتأخر، لأنه لا خير في التأخير، أما إذا لم تكن الفرصة مواتية، فالتأني أفضل، والانتظار لن يضير كثيراً.

والمثل يقول "أردب ما هو لك ما تحضر كيله، تتغبر دقنك وتتعب في شيله" [2] يعني ألا يتدخل الإنسان فيما لا يعنيه، إذ لن يصيبه من ذلك إلا الهم والكدر والتعب، وهو كما أوضح يتسق تماماً – كالأمثال السابقة – مع طبيعة المجتمع الزراعي المصري الذي يعرف هذه المفردات التي تتكون منها الأمثال: وكالتخضير، ومسح الأرض، والحرث، والعرمة (كناية عن المحصول)، و"الأردب والكيلة"، كوحدات يستخدمها الفلاح المصري كمكاييل للمحاصيل الزراعية. وهي بالإضافة إلى ما تشير من دلالة على أشكال من العلاقات، يمكن أن توجد في مجتمع زراعي، وفي مجتمعات غير زراعية، إلا إنها بالشكل الذي تبدو عليه، وتردد به على السنة الناس، لا يمكن أن تنشأ إلا في مجتمع زراعي ذي عادات وتقاليد معينة.

إن هذه الأمثال تتضمن نصائح ترتبط بالزراعة وعاداتها، وما يجب على الفرد أن يقوم به في مواقف محددة تواجهه، سواء في تعامله مع البيئة، أو مع غيره من الأفراد. وتعطى بعض الأمثال الخاصة بالتقويم القبطي، وهو التقويم الذي يعتمد عليه الفلاح المصري في تحديد مواعيد

(1) دري: قم بتذرية القمح أو الشعير، المواتاة: التأخير.
(2) ماهو لك: أي ليس لك، تتغبر: تتسخ.

الزراعة والحصاد وما إلى ذلك، نصائح أخرى مهمة خاصة بالزراعات من خلال الخصائص التي تتميز بها هذه الشهور في علاقتها بالطقس ومستوى الماء في النيل والترع، وغير ذلك من أمور يحتاجها المجتمع الزراعي المصري.

يقولون عن "كياك" (كيهك) "كياك صباحك مساك، تقوم من النوم تحضر عشاك" فالنهار فيه قصير جداً، ومن ثم ينبغي أن ينجز فيه الفلاح أكبر قدر من العمل الذي تحتاجه الأرض.

و"طوبة تخلى الصبية كركوبة" لشدة برده.

و"أمشير أبو الزعابيب الكتير، يقول للزراع سير" حيث يكثر سقوط أزهار النبات لشدة الرياح في هذا الشهر وعدم استقرار الجو، وهو ما يخشاه الفلاح إذ يؤثر على نمو النبات وإثماره.

أما "برمهات" فيقال عنه "روح الغيط وهات" إذ ينضج المحصول خلال برمهات، ويمكن للفلاح أن يحصل على ما يريده.

و"برموده دق القمح بالعامودة" فقد نضج القمح، ويمكن حصده، وطحنه، وإعداد الخبز منه.

ثم يأتي بشنس فتخلوا الحقول من المحاصيل، لأنها قد تم حصدها "بشنس يكنس الغيط كنس".

وفي "بؤونة تكتر السخونة" حيث تنتشر الأمراض لشدة حرارة الجو، و"أبيب أبو العنب والزبيب يبين العدو من الحبيب" فهو نهاية الجفاف وبداية الفيضان، وبداية موسم زراعي جديد يحتاج فيه الفلاح إلى كثير من النفقات، وقد لا يستطيع الوفاء بمستلزمات الموسم الجديد

فيحتاج إلى من يقرضه، وهنا يعرف العدو، ويتميز الصديق.

وفي "مسرى تجرى الميه في كل ترعة عسرة" فهو ذورة فيضان النيل، و"بابه يغلب النهابة" فهو بداية الشتاء، والبرودة، حيث يقفل كل إنسان بابه اتقاء للبرد ومن ثم يحمي نفسه أيضاً من اللصوص، و"هاتور أبو الدهب منطور" ذلك أن المحاصيل الشتوية تبدأ زهورها في التفتح، فتبدو الحقول وكأنها موشاة بالذهب.

إن علاقة الإنسان بالكون والظواهر المحيطة به قد حددت كثيراً من عاداته، وأنماط سلوكه، كما صاغت أيضاً معتقداته، وأسلوب تعبيره عن هذه العادات والمعتقدات، وربطت بينها في وحدة واحدة، تجعل من العسير على الباحث الفولكلوري الجاد أن يتجاهل هذه الحقيقة.

ومن ثم، فإن المعرفة الكاملة بالأفكار والعلاقات والتقاليد التي تضفي المعنى على الأغاني والأمثال والحكايات وغيرها، وتكسبها قيمتها أمر لابد منه، إذ لا يمكن أن يتضح لنا معنى هذه الأنواع دون فهم طبيعة المجتمع والعلاقات التي تكون نسيجه، والمفاهيم التي يعتنقها أفراده، وتصورهم لحياتهم، وحياة غيرهم.

وسوف نضرب هنا مثلاً يصور العلاقة بين بعض العادات التي عبر عنها الموال القصصي المصري وبين السلوك الذي نتج عنها، وهو ما يلقي قبولاً كبيراً ممن يستمعون إلى هذه المواويل، وما يمكن أن يكون لهذه من دلالة، ذلك أن البطل في الموال القصصي قد يأتي أفعالاً لا تتفق مع القانون الوضعي، بل إن القانون الوضعي يجرمها، ويعاقب عليها كما

حدث مثلاً في موالي "أدهم الشرقاوي" و"شفيقة ومتولي".

ففي الموال الأول يقتل "أدهم" – البطل – عدداً من الناس انتقاماً لعمه الذي قتل غدراً. وفي الموال الثاني يقتل "متولي" – البطل أيضاً – أخته شفيقة لخروجها على تقاليد المجتمع وأعرافه الاجتماعية والدينية، وهو ما ليس من حقه كفرد أن يفعله، كما لم يكن من حق أدهم أن ينتقم لاغتيال عمه، وفقاً للقانون الوضعي المطبق في المجتمع، ذلك أن مهمة العقاب على مثل هذا النوع من الأفعال لم يعد مهمة الفرد وإنما هو مهمة المجتمع ومسئوليته، وعلى ذلك لا يجوز للفرد – أياً كان هذا الفرد – أن يوقع عقاباً بنفسه، أو أن يسلب المجتمع حقاً من حقوقه المقررة، وإلا اختل النظام وانهار المجتمع. ومع ذلك نجد أن المجتمع الشعبي يعلي من شأن "أدهم" و"متولي" ويعتبرهما نموذجين للأبطال الذين يحبهم الناس.

إن التناقض الذي يعبر عنه هذان الموالان الشهيران – بين القوانين الوضعية التي يفرضها المجتمع على أفراده، وبين الأعراف التي استقرت لديهم، والعادات التي تكون نسيج علاقتهم الاجتماعية – يشير إلى وجود كثير من الجوانب التي مازالت تحتاج إلى جهد دارسي المأثورات الشعبية الذين ينظرون إلى هذه المأثورات باعتبارها ظاهرة متكاملة، وعلاقة أجزاء هذه الظاهرة ببعضها البعض، ودور كل جزء منها بالقياس إلى الآخر، ووظائف كل منها.

لعله من السهل أن نقول إن هذه المواويل تعبر عن محاولة لرأب الصدع بين القوانين التي يفرضها المجتمع على أفراده، وبين الأعراف

والعادات التي استقرت لديهم، على المستوى الفني. كما أن عادة الأخذ بالثأر تقوم بالدور نفسه على المستوى الاجتماعي، ذلك أن الأفراد قد يحسون أن هذه القوانين لا ترضيهم اجتماعياً أو نفسياً، أو عقلياً، ومن ثم يلجأون إلى حل يرضيهم فيما اعتادوه من عادات، وفيما استقر في وجدانهم من أعراف وتقاليد عن مفهوم الشرف والرجولة وما إلى ذلك.

وفي مجتمع كالمجتمع المصري – لا أعتقد أنه يختلف كثيراً عن المجتمعات العربية الأخرى – يمكن للباحث أن يلاحظ وجود ارتباط وثيق بين المأثورات الشعبية الفنية وبين السلوك الفعلي للأفراد، والقيم التي يتمسكون بها، ويحافظون عليها. ويكاد يكون من المستحيل أن نجد مثلاً أو أغنية أو حكاية شعبية مفصلة تماماً أو مقطوعة الصلة بالجانب الآخر. وهو ما يمكن أن نسميه بالمأثورات السلوكية، أو الاعتقادية، ذلك أن الجانبين يلعبان دوراً كبيراً في تدعيم ثقافة المجتمع، وتبرير أنماط الحياة والعلاقات التي يحتفى بها أو يستنكرها، وتدعو إلى احترام بنائه الاجتماعي بصفة عامة.

والحكاية الشعبية التالية يمكن أن توضح لنا في جانب من جوانبها هذه العلاقات التي تحدثنا عنها.

لقد حدث بينما كنت أتحدث مع أحد أهالي الفيوم، أثناء دراستي للمنطقة حول عادات أهل الفيوم وتقاليدهم، أن استطردنا إلى الحديث حول أشياء كثيرة وبدأ الرجل ينعي على شباب هذا الجيل أنه لم يعد يحترم الجيل الأكبر سناً، وأخذ يتحسر على تلك الأيام الماضية عندما لم يكن الابن يستطيع أن يدخن سيجارة أمام أبيه أو أن يجلس

واضعاً إحدى رجليه فوق الأخرى في حضرة الأب أو العم أو الخال أو أمام من هم أكبر منه سناً عامة، ثم إذا به يقول فجأة "ها أقول لك بقى حكاية.. عشان تعرف وأنت صغير لسه الناس الكبار دول قيمتهم أيه... " لم أعلق على كلامه، فقد كان أكثر ما يهمني أن أحصل على حكاية فشجعتها على أن يحكي، ولم يكن في الحقيقة يحتاج إلى هذا التشجيع، فقد كان أكثر مني حرصاً على أن يحكي لي الحكاية.

"كان في عصر من العصور.. كان فيه ملك وبعدين أصدر فرمان بأن اللي عنده أب كبير يموته.. لأن الملك ده عايز يخلاله الجو من أفكار الناس اللي همه الكبار.. اللي فكرتهم شديدة.. وبعدين فيه ولد ابن حلال مارضيش يموت أبوه.. فدراه في حاجة في زقاق البيت.. وفكر أنه يطعمه على المهل.. يعني ما يخليش حد يشعر أن أبوه موجود، وبعد ما مرت الفترة دي صدر فرمان تاني بأن يتلم شباب القرية أو الإمارة اللي هوه فيها في عصره وييجوا يحصدوا في الجبل الفلاني.. الجبل ده ما فيهش زرع ولا حاجة أبداً.. أما آخر أفكار بتمر بعقول الملوك علشان حب الرياسة.. وبعدين في يوم من الأيام بعد ما مر أسبوع ولا شهر وهمه بيشتغلوا ع الفاضي مافيش حاجة.. الابن راح فابوه بيسأله.. قال له بتشتغلوا أيه. قال له ما فيش حاجة يابا إحنا بنطب الجبل نحصد في الهوا.. وما فيش زرع أبداً ولا عشب ولا حاجة أبداً.. وقال له: طب ابقى خلي المنجل اللي هو الشرشرة تحت باطك وافرك.. عزنك بتفرك في قمح.. وانفخ في حنكك، ولما يجي الملك وراكم ويسألك بتعمل كده ليه.. ابقى قول له... اللي بنحصد منه بناكل ونقتات منه.. الولد تمم الفكرة بتاعته

اللي هوه قال عليها أبوه وفي مصادفة مرور الملك وراهم.. سأله.. فشعر الملك من رد الولد أن لابد فيه أفكار بتاعت ناس من الكبار – وحصل تحري.. إلى أن ثبت أن الشاب ده ما موتش أبوه.. وبعدين طلبه.. الراجل.. الشاب.. حب يتخلص من أنه خالف الفرمان بتاع الملك.. القرار ده.. فأبوه قال له قول أبويا كان.. قول للملك أبويا كان مدعي في فرح وغاب مدة طويلة من الزمن.. خمس سنين وبعدين احنا فكرنا أنه مجاش، وهوه راجل يعني كباره.. ومر عليه مدة طويلة من الزمن وبعدين أبويا جه الليلة، ولا الليلة اللي فاتت، وبعد كده أنا أتولى السؤال لما الملك يرد.. أرد عليه آني.. وبعدين راحوا وسأله الملك.. أبوك كان فين.. قال له على الحكاية.. زي ما أبوه ما قال به.. وبعدين الملك ابتدا يسأل الراجل اللي هوه كبير في السن.. الأب يعني.. فبيقول له.. انت كنت فين المدة دي.. قال له.. والله يا جلالة الملك أنا كنت مدعي في فرح.. فرح مين.. قال له أم قويق كانت بتجوز بنتها للغراب.. عشان كده طولنا مدة طويلة شوية لحد ماوفقنا بينهم.. قال ليه.. قال له لأن أم قويق كان لها شرط.. يعني قعدنا مدة على ما وفقنا الشرط.. الشرط كان قاسي.. ففضلنا نودي ونجيب، ونفكر.. لما قدرنا وألفنا بينهم.. وفقنا بينهم العملية والود يعني.. الملك استغرب وسأله وإيه الشرط ده.. قال له والله يا جلالة الملك كانت طالبة مهر لبنتها خمسين بلد خراب.. خربانة.. يعني ما فيهاش خير.. الملك استغرب جداً وقال له طب إزاي قدرتوا تجيبوا لها الخمسين بلد.. الخمسين بلد الخراب دول.. قال له يا جلالة الملك.. كل البلاد اللي مشايخها أو ملوكها صغار التفكير تبقى خربانة.. وبعدين الملك رد

للصواب وعفا عن الراجل.

إن هـذه الحكايـة، وغيرهـا مـن الحكايـات، لا شـك تحقـق مجموعة من الوظائف والأهداف التي يحتاجها المجتمع الشعبي. والرواة الذين يحافظون على هذه المأثورات يفعلون ذلك عادة بتوجيه غير مباشر من المجتمع، لأنها تعكس مصالحه الأساسية ومصالح الراوي على حد سواء، بتعبيرها عن القيم السائدة، والعادات التي يرجى الحفاظ عليها، وهنا لابد من التأكيد على أن المغزى الاجتماعي للمأثورات، سواء كانت معنوية، أو مادية، يؤثر إلى حد كبير على أداء هذه المأثورات، أو ممارستها.

وهذه المأثورات تقوم في جوهرها بوظائف ضرورية لا غنى عنها للمجتمع، فهي في جانبها الفني لا تقدم صوراً جمالية، أو انعكاسات وجدانية أو عقلية للحياة فحسب، وإنما هي أيضاً محصلة عملية للأفكار والقيم والمعتقدات والعلاقات والعادات التي تكون كيانه الإنساني. وهي في جانبها السلوكي أو المادي تقدم أنماط السلوك التي يحتفي بها المجتمع أو يستنكرها ونسق القيم والمعتقدات التي يريد المجتمع أن يؤكدها في نفوس أفراده، وأن يدفعهم إلى الالتزام بها، أو التخلي عنها والخروج عليها.

وعلى ذلك، فإن دراسة المأثورات الشعبية ينبغي أن تعتمد على فهم حقيقي لطبيعتها، وأنه يصعب الفصل بين الأشكال المتعددة التي تبدو بها في واقع الحياة.

ونحن وإن كنا نؤمن بالفصل لأغراض الدراسة العلمية أحياناً إلا

أن نعود لنؤكد أن هذا ينبغي أن يكون مرحلة آنية، لا يجب أن تستمر طويلاً، وأننا ينبغي ألا نقع فريسة الخلافات بين مجالات العلوم الإنسانية في تحديدها لمجالات اهتمامها وعملها، وأن نعد فرق العمل العملية التي تتكامل فيها التخصصات الفرعية، كي نحقق ما نأمله من جمع علمي، ودراسة علمية لمأثوراتنا الشعبية التي لا تعرف في جوهرها الفصل بين الأشكال والأنواع، وإنما تقوم على تكاملها والوصل بينها[1].

❖❖❖

العادات والمعتقدات الشعبية

- **المقصود بالمعتقدات الشعبية:**

هي تلك المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي، والعالم فوق الطبيعي.. وسواء أكانت هذه المعتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام، أم أنها كانت أصلاً معتقدات دينية – إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال، فإن المؤكد أنها اتخذت صورة يقينية يؤمن بها أفراد الشعب على كل المستويات الطبقية في المدينة أو الريف، في الحضر أو البدو، بل أنها تحمل بصمات شعب معين، وتعبر عن شخصيته[2].

كما تعبر عن الأفكار والأحاسيس التي تحرك الناس إزاء

---

(1) راجع: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع للدكتور احمد على موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 135: 142.

(2) راجع: علم الفولكلور للدكتور محمد الجوهري، دار المعارف، الطبعة الأولى، سنة 1980م، ج2، ص 21: 23.

obeikandl.com

الظواهر الطبيعية العادية والشاذة، كتصورات الناس عن الزلازل، والبرق، والخسوف، والشهب.. الخ، وكذلك تصورات الناس عن أسرار أو بعض الظواهر الفيزيقية والنفسية كالأحلام، والنوم والميلاد والموت، ورؤية المستقبل بأنواعها ووسائلها المختلفة.. الخ، فهذه الظواهر جميعاً مما يمكن أن نطلق عليه اسم (النظائر الثقافية)، وأعني بها ظواهر ثقافية متشابهة توجد في مختلف أجزاء العالم[1].

وقد توسل الإنسان القديم إلى القوى العليا كالآلهة أو الشياطين عن طريق الصلاة. كما يسترضيها بواسطة الأضاحي والقرابين. ويتوسل إليها بالنذور والحج والزيارة، أو يستعين بها للحصول على البركة ولتحقيق أغراضه من العمليات السحرية التي يمارسها، ويعرف التراث السحري آلاف الصيغ والدعوات للعن القوى الشريرة أو استرضاء القوى الخيرة واستعدائها على الشر. كذلك تستخدم الأحجار والنباتات، والحيوانات، والنجوم، والأشكال والصور، والكلمات، والتراتيل، والأفعال في هذا الصدد للتأثير فوق الطبيعي على تلك القوى فوق الطبيعية، وإخضاعها لإرادة الإنسان أو اتقاء شرها[2].

أما أكثر العناصر الاعتقادية الشعبية انتشاراً سواء في الماضي أو الحاضر في العالم القديم والجديد عند الشعوب البدائية والمتقدمة فهي أساليب التنبؤ بالمستقبل ومحاولة استطلاع الغيب والكهانة، والتنبؤ، التفاؤل والتشاؤم.. الخ.

---

(1) راجع: علم الفولكلور للدكتور محمد الجوهري، ج2، ص22: 2.
(2) علم الفولكلور للدكتور محمد الجوهري، ج2، المرجع السابق، ص24.

والملاحظ أننا نصف كثيراً من هذه المعتقدات الشعبية بأنه (لا تاريخية) بمعنى أنها لا تنتسب إلى مرحلة تاريخية معينة، أو أنها من صنع فرد بعينه[1]..

ومع ذلك فإن أغلب المعتقدات الشعبية تستمد جذورها من مصادر أقدم من الدين الرسمي (مسيحية أو يهودية أو إسلامية)، واسبق عليه في الوجود. ويجب الإشارة إلى أنه كلما ازداد حظ الإنسان من الثقافة الدينية الحقيقية كلما تردد في التسليم بتلك المعتقدات الشعبية[2].

ونود أن نضيف أن هذه المعتقدات الشعبية تزدهر، ويستفحل دورها وتأثيرها في الشعوب البدائية أو المتخلفة حضارياً أو الجاهلة.

وليس المقصود بالجهل الأمية أو حتى الحصول على قدر محدد من التعليم، وإنما المقصود بالجهل تعطيل العقل عن التفكير أو التقصي للتمييز بين ما هو حقيقي وما هو خرافي من هذه المعتقدات الشعبية، ومدى صحتها أو بطلانها.

بل أننا نجد من طبقات المجتمع المصري – سواء متعلمين أو أنصاف المتعلمين بل وبعض المثقفين – من يؤمن بهذه المعتقدات ويمارسها. ومن ثم تتحول إلى عادات تلقائية، وسلوكيات مميزة تعكس إلى أي حد تؤثر في ممارسيها فيطبقونها في حياتهم العملية بكل دقائقها دونما اعتراض أو تعليق أو رفض.

ويهمنا تسجيل بعض هذه المعتقدات الشعبية وما يرتبط بها من

---

(1) المرجع السابق، ج2، ص25.
(2) علم الفولكلور للدكتور محمد الجوهري، ج2، المرجع السابق، ص28.

obeikandl.com

عادات وسلوك فيما يخص الطفل من خلال بيئته داخل الأسرة أو المجتمع في فترات زمنية محددة من حياة المجتمع، وهي تلك الفترات التي تفشى فيها الجهل والفقر والمرض بصورة ملموسة وواقعية في المجتمع المصري بتنوع فئاته وطبقاته وانعكس بالتالي على الطفل المصري منذ ولادته – وحتى بلوغه سن الرجولة وتحمله للمسؤولية على المستوى الفردي أو الجماعي.

وحينما نتعرض لتسجيل هذه المعتقدات وما يرتبط بها من عادات تمس حياة الطفل في مراحل نموه لا نتعرض لتبيان مدى صحتها أو انحرافها، وإلى أي حد تعبر عن الصدق أو الكذب أو الواقع والحقيقة أو بعدها عنهما ووقوعها في دائرة الخرافات.

وما يهمنا هو عرض ممارسات الشعب لها وكيفية تنفيذها ومدى اتصالها أو تأثيرها في الطفل وتربيته وتكوين شخصيته. ومحيط الأسرة، ومحيط المجتمع اللذان ينمو الطفل في أحضانهما يدفعنا إلى تقصي المعتقدات الشعبية، وارتباط العادات بها من خلال مؤثرات ايجابية ذات قوى فعالة في التكوين الفكري لدى الأطفال.

فإيمان المجتمع بأولياء الله الصالحين وكراماتهم، وإيمان المرأة المصرية عقيدة راسخة بهذه المعتقدات، كل هذا له تأثيرات إيجابية في تربية لطفل وسلوكيات أفراد المجتمع المتصلين به[1].

❖❖❖

(1) راجع: الطفل في التراث الشعبي للدكتور لطفي حسين سليم، مكتبة الدراسات الشعبية، سنة 2000م، ص 151: 153.

معتقدات المرأة المصرية وتنشئة الطفل

اتسمت المرأة المصرية في حقب شتى من حياتها بالتخلف، ولعل المرأة الريفية كانت لها الصيب الأوفى من هذا التخلف أكثر من المرأة الحضرية. وقد بدأ هذا التخلف في سلوكها، وممارستها للحياة العامة والخاصة. وفيما تعتقد فيه وما تؤمن به. وتحكمت الخرافات والخزعبلات على عقلها، فوجهت فكرها، ودفعتها إلى البحث عن خلاص يحميها، ويعينها على القضاء على مشاكلها النفسية والأسرية. فلجأت إلى السحر، وأكثرت من اللجوء للمشعوذين فيبيعون لها الأوهام والأحلام في صورة أحجبة وتمائم توقن بفاعليتها، وتؤمن بتأثيرها الإيجابي. وكان الخوف من أقوى الدوافع المسيطرة على مشاعرها: الخوف من العقم، والخوف من تخلي الزوج عنها لعدم الخلفة أو يلوف على أخرى تلهيه وتثنيه عن مواصلة الحياة معها.

وإذا كان الخوف دافعاً لتخلفها، فالأمية والجهل دافع آخر والعادة أنها تبالغ في تدليله، وأن تطيل رضاعته. وكلما تحكم الجهل بالأم المصرية، كلما سلكت مسلكاً مدمراً لصغيرها وخلقت منه شخصية باهتة، ونفسية جبانة.

وقد دل واقع المرأة المصرية – عند تنشئة أطفالها – على أنها تلجأ إلى الإيهام والإخافة أو (التخويف) عند إرغام طفلها على النوم أو تحقيق رغبة من رغباتها، وذلك باختلاقها لأسماء مخلوقات لا وجود لها ولا حقيقية لكنها اكتسبت التأثير الكافي لإرهاب الطفل، ومعايشته

للرعب الدائم طوال حياته.

ومن ذلك (البعبع) أو (أبو رجل مسلوخة) أو (المزيرة) أو غيرها. والبعبع – كما يوضحه أحمد أمين – مخلوق غريب مخيف، يخوف به الأطفال. وزعموا أن هذا الاسم من اللغة المصرية القديمة، وأنه عندهم اسم لعفريت مصري قديم، وهو من الأشياء التي تخلع قلوب الأطفال من الصغر، وتنشئهم جبناء[1].

ومن الطبيعي، وبناءً على ما سبق – فإن المرأة المصرية قد ظلمت نفسها بجهلها وأورثت صغارها معتقداتها وأوهامها.

والمعتقدات الشعبية التي ورثتها المرأة المصرية – في عصر التخلف والقهر – وأورثتها صغارها، ودلت سلوكياتها على عمق الإيمان بها ما يأتي:

(1) ما ترتبط بالخضروات والفاكهة:

- **الباذنجان**

يعتقد عامة المصريين أن المرأة (النفساء) إذا دخل عليها أحد بالباذنجان ينقطع لبنها فتسمى (مشاهرة)

وبذلك تحتاط النساء بأن تضع منه بجوارها أو تعلق منه بمخدعها حتى يمنع (المشاهرة)، وإذا أحضر لها تخرج من مخدعها إلى ناحية بعيدة. ويضعونه على الأرض ثم تدخل هي وتخطيه سبع مرات، ويكون دائماً بجوارها وكذلك الشأن في مريض العين[2].

---

(1) قاموس العادات والتعابير المصرية لأحمد أمين، ص.
(2) المرجع السابق، ص79.

- **البصـــــل**

فمن المعتقدات الشعبية أن الجن إذا صحبت إنساناً، وأرادت أن تهدي إليه شيئاً أهدت إليه قشر بصل، فإذا طلعت الشمس انقلبت ذهباً[1].

ومن عادات المصريين – منذ عهد الفراعنة – في شم النسيم أكل البصل، وتعليقه على أبواب البيوت، وعلى السرير، وعلى غرف الصغار والكبار، اعتقاداً بأن الأرواح الشريرة إذا حضرت، وشمت البصل ذهبت ولم تعد[2].

- **البلح:**

وتحرص الأم – عقب ولادتها – على وضع (البلح) في فتلة مع أشياء أخرى (كحبات الفول) ثم يعلقون الفتلة بمتعلقاتها في رقبة الطفل طلباً للبركة[3].

(2) ما ترتبط بالطبيعة والكون:

وعندما نتعرض لأهم ما في الكون والطبيعة وهي (الشمس) فإننا نستهدف ما يتعلق بها من معتقدات لها علاقة بالطفل.

فالشمس من المعبودات القديمة التي قدسها الفراعنة وقرنوا أسماء ملوكهم باسمها (رع)، وأقاموا طقوساً وشعائر عند ممارسة عبادتها. ولم يترك الماضي السحيق لعبادتها سوى تلميحات أو إشارات في أغاني الفلاحين إذ يطلقون عليها (البهية).

---

(1) قاموس العادات والتعابير المصرية لأحمد أمين ، ص88.
(2) المصدر نفسه، ص89.
(3) المصدر نفسه، ص95.

obeikandl.com

وتحض الأم أطفالها عند استبدال أسنانهم، أو سقوطها إلى المبادرة بقذف السن المخلوع تجاه قرص الشمس، وبكل قوتهم وهم يصيحون:

يا شمس يا شمُوسة، خدي سن الحمار وهاتي سن العروسة.

معتقدين أن السن النامية التي تحل محل المخلوعة تصبح أكثر جمالاً واتساقاً في مكانها من الفم بعد اكتمال نموها[1].

ويعتقد العامة من المصريين في تأثير (النجوم) في الأرض من سعادة وشقاء، وغنى وفقر، ويقسمون السماء اثنى عشر قسماً، لكل قسم برج وأسماء وهي: الدلو، الحوت، الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي.. ويعتقدون أن العالم المادي لا توجد فيه الأشياء على طريق المصادفة، بل بتأثير النجوم.

فالنجوم وسائر السيارات تؤثر في أحداث الأرض. فمثلاً (الشمس) مصدر الحرارة والحياة، تهمين على العواطف النبيلة والمشاعر العالية، والوجدانات الحية، و(القمر) هو الكوكب الرئيسي في الطالع أثره في الإنسان، وخاصة في مجموعة العصبي، وقوة تخيله.. وهكذا..

وهم يعتقدون – أيضاً – أن كل من ولد في برج، أو بعبارة أخرى في شهر خاص يقابل في حياته حوادث خاصة[2].

وجدير بالذكر أن الصحف والمجلات ما تزال – حتى يومنا هذا

(1) قاموس أحمد أمين، المرجع السابق، ص252.
(2) قاموس العادات والتعابير المصرية لأحمد أمين ، المرجع السابق، ص 275-276..

– تهتم بما يسمى (بالحظ) أو البخت أو الطالع، ولكل إنسان برج معين حسب تاريخ مولده، ويتأثر الناس – خاصة العامة منهم – بما يشير إليه الطالع من أحداث مستقبلية.

(3) ما يتصل بالحماية والوقاية:

وعلى الرغم من التقدم العلمي في عصر الفضاء والتكنولوجيا، فمازالت رواسب المعتقدات الشعبية السالفة تمتد جذورها إلى أعماق العقليات الشعبية ونفسياتها، وتحرك سلوكياتها في مختلف البيئات، وتباين المسويات الثقافية.

فإلى جانب الإيمان ببعض الغيبيات، والتنجيم وعلاقته بالحظ والمستقبل، نلمس الإيمان بالحسد لدى المرأة مهما يكن مستواها التعليمي أو الثقافي وتدرك مدى خوفها من العقم في بداية حياتها الأسرية.

ومن ثم فإن المرأة – في عقاب عرسها – تترقب – في قلق ظهور علامات الحمل لديها حتى تطمئن على مستقبلها مع زوجها خاصة في الريف. حتى إذا ما مضى بها الزمن دون إنجاب فسرعان ما تسيطر الأوهام عليها، فتسارع إلى الطبيب، وإذا ما فشل في علاجها فإنها تلجأ إلى وسائل خرافية أخرى منها:

- اللجوء إلى عجائز مشهورات بإعداد أدوية مختلفة تتعاطاها المرأة بلا بصيرة أو تفكير، وقد تؤدي هذه الأدوية إلى الإضرار بها أو موتها.
- فإذا ما فشلت في ذلك، فإنها تلجأ إلى مدعي السحر من المشايخ

للتداوي بالأحجبة والبخور، والزار، وأية وسيلة تعتقد فيها الخلاص.

- تذهب كثير من النساء العقيمات إلى المستشفيات إذا علمن بوجود قتيل بها، لتخطيته، فيزول – في اعتقادهن – العقم، وتصبح قادرة على الإنجاب.
- لجوء العقيمات إلى أماكن يتبركن بأصحابها – كالمغاوري في القاهرة – وبير يوسف (وهو بئر في القلعة تزعم العامة بأنه البئر الذي سجن فيه يوسف عليه السلام. وقد تلجأ النساء إلى المغامرة أو المخاطرة بالنزول فيه عدة مرات للحبل)[1].
- زيارة العقيمات للمقابر المهجورة[2].

وقد تتعرض المرأة بخلاف العقم بمرض يطلقون عليها به (المتعوقة) وهي المرأة التي تلد ويموت أطفالها.

وعلاج (المتعوقة) – وإن دل على مدى التخلف والجهل – في يد عجوز تقوم بإحضار الزوج والزوجة وتوقف أحدهما أمام الآخر. ثم تحضر دجاجة سوداء ليس لها أي إشارة، وتذبحها وتخرج أحشاءها، وتنتف ريشها وتوصل خيطاً بين إبهامي الزوج والزوجة، وتضم كل هذه الأشياء إلى خلاص المرأة، وتدفن الجميع في عتبة القاعة[3].

أما إذا كانت المرأة ولوداً فإنها – مع أول طفل لها – تسارع إلى كل ما يعينها على حمايته من الحسد.

---

(1) قاموس أحمد أمين، ص105.
(2) المرجع السابق، ص286.
(3) قاموس أحمد أمين، المرجع السابق، ص355.

obeikandl.com

واقتران الحسد بالدين والعقيدة (سورة الفلق) عمق الإحساس بشر الحاسدين فاعتقد بعض الناس أن هناك شخصيات عندهم مواصفات في أعينهم وخاصيات معينة بحيث إذا نظر – والحسد يتملك عقله ومشاعره – إلى شئ أو شخص المحسود أماته أو أتلفه.

ويكون الحسد على أتمه إذا نظر الحاسد، وشفع نظرته بالشهيق. وكان من الشائع عند الناس أنه إذا نظر رجل تلك النظرة أسرعت المرأة وقالت له: (وراك تعبان أو عقربة أو نار) فيلتفت وراءه لينظر إليه، وبذلك يذهب سحر عينه.

وجدير بالذكر أن هذا الموقف مازال شائعاً بيننا حتى اليوم.

ويزيد الاعتقاد في الحسد إذا اشتهى ما عند المحسود كأن كان الحاسد فقيراً والمحسود غنياً، أو عند المحسود مواشي أو أموال يشتهيها الحاسد، وكما إذا كان الحاسد ليس له ولد والمحسود كثير الولد.

ولاتقاء الحسد والحاسد – في اعتقادهم – والقضاء على حسده أو إبطال مفعوله وسائل منها:

- أخذ قطعة من طرف ثوب الحاسد، ويبخرون بها المحسود، سواء أكان إنساناً أو حيواناً أو أي شئ آخر.
- عمل الأحجبة، وذلك بوضع قليل من الملح الجريش في كيس يعلق في عنق الأطفال، وكذلك ناب الذئب أو ناب الضبع أو رأس هدهد عليه ريش توضع في قطعة من السختيان الأحمر، ويُخاط.
- الرقي، بأن يوضع قليل من الملح فوق جمر من النار، ويقف المحسود،

ويجعل الجمر بين رجليه، وتتلى (الرُقية) المذكورة، ثم تجعل الراقية وجهها في وجه الذي ترقيه وتتثاءب بشدة حتى يتثاؤب المحسود.

وأحياناً تأتي بعض العجائز، فتوقد ناراً، وترمي فيه شيئاً من (الشب) وتذكر أسماء الذين يظن أنهم الحسدة، وتأخذ دبوساً أو إبرة فتضعه في عين الصورة التي تحول إليها (الشب)،

وتقول: فقأ الله عينها.

وقد تأخذ قطعة من الورق وتشك فيها الدبوس مرات متعددة في كل مرة تقول: من عين فلانة، ومن فلانة (وقد تشكل الورقة على هيئة عروسة) ثم يبخر المحسود بهذه الورقة مع الملح[1].

والأجزاء المنفصلة من جسم الطفل قد تكون وسيلة للإضرار به عن طريق حسد الآخرين مثل الأظافر، والشعر، وقطعة الجلد المقتطعة من الطفل بعد ختانه، وقد يكون ثوباً قديماً أو قطعة من هذا الثوب. فيؤخذ الجزء المنفصل عن طريق امرأة تكرهه أو تريد إيذاءه فيعمل من هذا الجزء المقتطع حجاباً يؤثر في المقصود الإضرار به[2].

وتحرص الأم عقب ولادتها بتعليق (خمسة وخميسة) في عنق وليدها. وهي عبارة عن (كف) فيها خمسة أصابع، وتصنع – عادة – من عاج أو من فضة أو من نحاس مطلي. ويزعمون أنها تستلفت النظر، فتقع عين الحسود عليها فلا يؤذي الشئ الذي وضعت فيه، وبالتالي لا يؤذي

(1) قاموس أحمد أمين، ص355.
(2) قاموس العادات والتعابير المصرية لأحمد أمين ، المردجع السابق، ص166: 168.

الطفل[1].

❖❖❖

الفولكلور والمأثورات الشعبية

يستطيع المتتبع للحياة الثقافية العربية عامة، وللدراسات الإنسانية خاصة أن يشهد عدة ظواهر لها أهميتها التى لا يمكن إغفالها، أو تجاهلها، ولا شك في أنها قد شهدت تطوراً مذهلاً فى الدراسات التى تتناول المجتمع بالوصف والتحليل، وتحاول أن ترصد مظاهر الثبات والتغير، والجمود والتطور، والاتفاق والاختلاف، والإيجاب والسلب، فى الظواهر الاجتماعية والثقافية المختلفة.

كما شهدت السنوات الأخيرة ظهور محاولات واتجاهات، ما زالت تعمل جاهدة على إرساء دعائم مدرسة وطنية واتجاه نابع من استقراء الواقع وتحليله، لا على مجرد النقل غير الواعى أو الانبهار غير العاقل باتجاهات ومدارس لا علاقة لها فى الأغلب الأعم بحالنا أو واقعنا الذى نعيشه.

ولعل أهم ما ينبغى ملاحظته فى هذا الشأن هو ذلك الوعى بضرورة التأصيل المنهجى، واستحداث التوازن بين الواقع وبين الاتجاهات العالمية فى هذا النوع من الدراسات، وكان من أهم نتائج هذه الظواهر ظاهرة الاهتمام بالفولكلور، المأثورات الشعبية، وانتشار هذه الكلمة على الألسنة.

ولم يكن شيوع هذا المصطلح وانتشار ما يرادفه من مصطلحات، كالفنون الشعبية، والتراث الشعبى، وما إلى ذلك، إلا ثمرة هذا الوعى

(1) المصدر نفسه، ص249.

الجديد بالإضافة إلى جهود كثيرة بذلها متخصصون وهواة فى هذا المجال، حتى أصبح المصطلح متداولاً بين خاصة المثقفين وعامة الناس على السواء، رغم ما قد يشوب هذا التداول من قصور فى الفهم، وسوء نية فى بعض الأحيان.

الأدب الشعبى فى كتابات الدارسين العرب:

سنحاول أن نتتبع الأدب الشعبى فى كتابات مجموعة من الدارسين العرب الذين تناولوا هذا الموضوع، سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، لكى نتبين طريقنا، وتتضح الرؤية أمامنا.

إن تحديد أى ميدان، فى حقيقة الأمر، ليس أمراً سهلاً، يمكن أن نصل فيه إلى قول فصل أو تحديد دقيقة دفعة واحدة، خاصة إذا ارتبط بإيداع الإنسان فرداً أو جماعة.

كما أن هذا الأمر لا يمكن أن يتم اعتماداً على جهد فردى، أو خلال فترة قصيرة من الزمن، ولكنه فى الواقع ينبغى أن يكون نتاج جهود علمية كثيرة ومعرفة متنامية بالميدان، وعمل دؤوب لابد وأن يستغرق فترة طويلة من الزمن.

وتزداد صعوبة الأمر عندما يواجه الإنسان ميداناً متسعاً رحباً، وقد يبدو للوهلة الأولى أنه من السهل تحديده فى جملة مختصرة بسيطة كأن نقول عما نحن بصدده الآن:

"إن الأدب الشعبى هو تعبير المجتمع الشعبى عن نفسه عن طريقة الكلمة" أو "إن الأدب الشعبى هو التعبير القولى المأثور عن ثقافة المجتمع مثلاً"..

إن مثل هذه التعريفات سوف توقعنا فى كثير من المشكلات الفرعية التى سوف تزيد من تعقيد المشكلة الأساسية التى نتناولها، ألا وهى تحديد مفهومنا لموضوعنا، ومصطلحاته الأساسية.

ولعله من الأمانة أن اعترف أنه رغم الخبرة الطويلة بالميدان ما يقرب من عقدين من الزمن إلا أنه ما يزال من الصعب أن نحدد الميدان فى جملة قصيرة موجزة، ولن أدعى لنفسى القدرة على ذلك، وإنما أقصى ما يمكن أن أطمح إليه أن أحاول تمييز الأدب الشعبى العربى بشكل دقيق إلى حد ما، وبتحديد أوضح لمعالمه، وميدانه.

إننى سوف استخدم هنا منهجاً تحليلياً يركز أساساً على وجهات نظر الدارسين والجامعيين العرب للأدب الشعبى، محاولاً اكتشاف وجوه اتفاقهم، ومظاهر اختلافهم، هى النظر إلى الميدان، واضعاً فى الاعتبار أن هؤلاء الدارسين والجامعيين لم يكونوا يوماً منفصلين أو بعيدين عن الدراسات والمناهج العالمية الخاصة بدراسة المأثورات الشعبية (الفولكلور) عامة، والأدب الشعبى خاصة.

وسوف يفيدنا هذا المنهج فى تبين الأسلوب الذى وفق به هؤلاء الدارسون والجامعيون بين خصوصية الثقافة العربية، وعالمية الثقافة الإنسانية، فيما يربط بهذا الميدان، إيجاباً أو سلباً، حتى تتضح معالم الطريق أمامنا بعد ذلك.

إن الدكتور محمود ذهنى[1] يشير إلى وجود ثلاث مصطلحات

(1) الأدب الشعبى العربى، مفهومه ومضمونه. للدكتور/ محمود ذهنى، مطبوعات جامعة القاهرة، فرع الخرطوم، سنة 1972م، ص 18: 19.

شاع استخدامها على أنها تدل على شئ واحد، أو تدل على أشياء متشابهة متماثلة، ولكنها فى حقيقتها يختلف كل منها عن الآخر تمام الاختلاف، هذه المصطلحات هى من وجهة نظره:

1- الأدب الشعبى.

2- الأدب العامى.

3- الفولكلور.

ولعل أكثر ما يهمنا هو تحديده لمفهوم كل من الأدبين الشعبى والعامي، وهو لكى يصل إلى هذا التحديد، يستعرض مفهوم اللغة والكلام، واللسان واللغة واللهجة، والفرق بين لغة الكتابة ولغة الحديث اليومى عند بعض علماء اللغة من العرب وغير العرب[1]، ثم يحدد صفات تميز الأدب العامى عن كل من الأدبين الرسمى[2] والشعبى، فيرى أن الأدب العامى:

1 - يستخدم اللهجة الدارجة التى تحررت كلية من الإعراب، مما يجعله مقصوراً على الدائرة الإقليمية التى تستخدم هذه اللهجة، ومستغلقاً على ما عداها من أقاليم الأمة الواحدة.

2 - يعبر عن اهتمامات محلية محصورة فى نطاق أصحابها.

3 - مرتبط بالواقع المعيش لأصحابه، ويتناول عادة موضوعات الساعة الراهنة ذات الاهتمام الوقتى المباشر، وهو أدب موسمى لا يعيش إلا مدى

(1) الأدب الشعبى العربى، مفهومه ومضمونه. للدكتور/ محمود ذهنى، المرجع السابق، ص 35: 45.

(2) يقصد الدكتور/ محمود ذهنى بالأدب الرسمى: "الأدب المكتوب باللغة الفصحى الذى يبدعه مؤلف معروف.

حياة المشكلة التى يعالجها.

4 - بحكم كونه محصوراً فى نطاق إقليمى ضيق، يكون دائماً معروف القائل منسوباً لصاحبه الفرد بعكس الأدب الشعبى الذى قد ينسب بعضه لقائل هو فى الحقيقة أول من أوجده، ولكن دوامه يدل على توالى تطوره على يد الشعب، أفراداً أو جماعات.

5 - يستخدم لهجات محلية لم ترق إلى مستوى اللغة، ولهذا فهى تقتصر على صوتيات الكلام دون أن يكون لها قواعد تمكن من كتابتها بطريقة منضبطة، ومن ثم فهو يعتمد على المشافهة دون الكتابة، لأنه إذا سجل استعار طريقة كتابة اللغة الفصحى، وبذلك يفقد جانباً من قدرته التعبيرية، ولعل هذه هى أصعب العقبات التى تواجه دارسى العامى والشعبى، وإن كان الأخير أيسر فى قبوله للتدوين لارتباطه باللغة الفصحى.

أما الأدب الشعبى، فهو يعترف بداية بصعوبة وضع تعريف أو تفسير للأدب الشعبى، ويرى:

1 - أنه ينشأ كعمل من أعمال أحد هذين الأدبين الرسمى أو العامى ثم تؤهله خصائص ذاتية كامنة فيه لأن يتحول إلى أدب شعبى.

2 - أنه فى حقيقته فصائل من الأدب الرسمى أو العامى استطاعت أن تحوز صفات خاصة فى ظروف بيئة معينة أوجدت فيها شيئاً خفياً أشبه بما أطلق عليه العالم الطبيعى، دارون، اسم الطفرة التى تحقق حلقة من حلقات الارتقاء والتى يتم بموجبها التطور من فصيلة إلى فصيلة.

ثـم ينتقـل بعـد ذلـك إلى مناقشـة بعـض تعريفـات الأدب الشـعبى ونقدها ، فيرى أن الأدب الشعبى:

1 - هو الذى يستخدم اللهجات الدارجة.

2 - الأدب الشفوى الذى يتناقله الناس كلاماً لا تدويناً.

3 - الأدب مجهول المؤلف.

4 - الأدب الذى يشترك فى تأليفه أكثر من فرد[1].

5 - هو عملية التجميع التى تتم على مدى الزمن لمجموعة روايات أو أخبار ينتظمها موضوع واحد أو تدور حول شخصية واحدة، فسيرة عنترة مثلاً كانت حكايات فردية وأخباراً متناثرة جمعت فى مرحلة تالية لانتشارها ومعرفة الناس بها[2].

6 - هو أدب العمال والفلاحين[3].

7 - هو أدب الطبقات الكادحة[4].

8 - أدب الريف[5].

9 - الأدب القومى[6].

وهـو نقـد بعـض هـذه التعريفـات، خاصـة تلـك التـى تنسـب الأدب الشعبى إلى طبقة معينة أو فئة اجتماعية بعينها ، ويرى أن النسبة إلى الشعب

(1) الأدب الشعبى العربى، مفهومه ومضمونه. للدكتور/ محمود ذهنى، المرجع السابق، ص 49: 54.
(2) المرجع السابق نفسه، ص 62.
(3) المرجع نفسه، ص 63.
(4) المرجع نفسه، ص 64.
(5) المرجع نفسه، ص 68.
(6) المرجع نفسه، ص 68.

obeikandl.com

تعنى مجموع أفراد الأمة بمختلف طوائفها وطبقاتها، وأن الأدب الشعبى هو ذلك الأدب الذى يقدم لكل فرد من أفراد الأمة دون تمييز بينه وبين غيره من حيث الطبقة الاجتماعية، أو الدرجة الثقافية، أو الحرفة المهنية، أو أى مفرق آخر يفرق بين أفراد المجتمع الواحد، وعلى ذلك يصبح الأدب الشعبى هو ما يقبله هؤلاء جميعاً، ويجدون فيه غذاء وجدانهم، ورواء أعطافهم وتعمير قلوبهم(1).

وينتهى الأستاذ الدكتور ذهنى إلى رأى مؤداه أنه: "إذا عز علينا تعريف شئ، فإننا نستعيض عن ذلك بذكر الأوصاف المميزة له، والتى يكون مجموعها بمثابة التعريف به، تاركين تلك التى يشاركه فيها غيره، من ذلك أننا لن نصف الأدب الشعبى بأنه معلوم القائل أو مجهوله، لأن هذه الصفة يشاركه فيها العامى والرسمى، كذلك لن يميزه وصفه بأنه يتناول الموضوعات القومية أو أنه يلجأ إلى الخيالات والخرافات والغيبيات، فهذه يشترك معه فيها الأدبان الآخران(2).

أما أوصاف الأدب الشعبى التى تميزه عن غيره، فهى تنحصر فى ثلاثة أشياء هى:

أولاً: أن اللغة التى يستخدمها ليست هى اللغة العامية بالدرجة الأولى، فهى لغة فصحى مسهلة أو ميسرة حتى تكاد تقارب العامية فى الشكل الظاهرى، أى أنها لغة فصحى راعت السهولة فى إنشائها(3).

---

(1) الأدب الشعبى العربى، مفهومه ومضمونه. للدكتور/ محمود ذهنى، المرجع السابق، ص 50: 78.
(2) المرجع السابق، ص 50: 78.
(3) المرجع السابق، ص 79: 80.

ثانياً: أن موضوعه مثل لغته تماماً، بمعنى أنه عام، يمس كل فرد من أفراد الأمة حتى ليحس كل فرد أنه موضوعه الشخصى الذى يهمه وحده، وأنه يتناول كل موضوع أو أى موضوع له اتصال مباشر بالشعب ويمس المشاعر الإنسانية العامة.

ثالثاً: أنه لا يحدد لنفسه كلاً معيناً، وأن الموضوع الواحد يمكن أن يتسم بالواقعية، وفى الوقت نفسه يستغل الغيبيات والخوارق[1]، وينتهى الدكتور ذهنى إلى تحديد معلمين أساسيين يمكن أن تقاس بهما أو عليهما الشعبية، هما:

1- الانتشار أو التداول.

2- التراثية والخلود.

وعلى ذلك تصبح الصفة المميزة للأدب الشعبى عنده – والتى تفرقه عما عداه من آداب رسمية وعامية – هى تراثية التداول، أى "الانتشار والخلود"، ومن ثم فإن كل عمل أدبى يتوفر له الانتشار على مستوى الأمة فرداً فرداً، والخلود على الزمن من عصر إلى عصر، يمكن لنا أن نطلق عليه أنه "شعبى"[2].

ولعلى اعتذر هنا – بداية – لأننى لن أتوقف لمناقشة آراء الزملاء الدارسين والجامعيين، والحكم عليها، فليس ذلك من أهداف هذه الدراسة، ولكنى أعود لأؤكد أن الهدف الأساسى هو رصد إجرائى

---

(1) الأدب الشعبى العربى، مفهومه ومضمونه. للدكتور/ محمود ذهنى، المرجع السابق، ص 81: 83.

(2) المرجع السابق، ص 83: 84.

obeikandl.com

مبنى على استقراء لهذه الآراء والاتجاهات، ومحاولة الخروج منها بتعريف، نتفق عليه جميعاً ونعمل على تطبيقه إن شاء الله، كى تتوحد جهودنا العملية ورؤانا النظرية خدمة لثقافتنا القومية.

يذكر الشيخ جلال الحنفى[1] فى تقديمه لكتاب "مباحث فى الأدب الشعبى" أنه من الحق الذى لا يحسن أن يجحد أو يغمض أن للعامة منحاهم الخاص فى التفكير والتعبير، ولقد يمتاز أدبهم فى الغالب بأنه ساذج فطرى بسيط، وقد يكون فيه شئ من التركيز والعمق والإمتاع، ذلك لأن العاطفة العامية بسيطة غير معقدة، فهى تستوعب كثيراً من الأمور والأحداث، ثم إنها تحسن التعبير عنها على أية حالة من حالات السخط والرضا والمدح والقدح بعيداً عن كل لبس وغموض أو لف ودوران، وأن البحث فى العامية إنما هو بحث فى حياة العامة، وما من شك فى أن فى حياة العامة ما ينبغى أن يثبت ويدون فلإنه لا يصح أن تحبس فصول التاريخ على سير الطبقات العليا وحدها، وفى دراسة الأدب الشعبى العامى واستكناه حقائقه، واستكشاف دخائله ومواطنه، ما يفيد فائدة ظاهرة فى معرفة الأواصر التى تربط بينه وبين الأدب الفصيح، ومن هنا سيكون فى متناول أهل هذه الصناعة أن يرتفعوا بمتأدبة العامة وشعرائهم إلى مستوى أعلى من مستواهم فى الأداء والبيان، بحيث يقربهم ذلك بعض القربى إلى المنطق الفصيح واللسان المبين.

---

(1) مباحث فى الأدب الشعبى لعامر رشيد السامرانى، وزارة الثقافة والإرشاد، العراق، سنة 1964م، ص 513.

وينتقد الشيخ جلال الحنفى مؤلف الكتاب فى تفريقه بين العامى والشعبى اللذين يرى هو أنهما شئ واحد، فيقول إن المؤلف يرى "أن هناك ضربين من الأدب أحدهما الأدب الشعبى والآخر الأدب العامى.

ويمثل الأدب العامى عند الملا عبود الكرخى الذى يحسبه المؤلف شاعراً عامياً، وليس شاعراً شعبياً، وهذا مذهب لا أحسب أحداً سيتابعه ويوافقه عليه، فإن الشعبية والعامية معنى واحد للفظين اختلف حروفهما دون أن يختلف معناهما فى شئ[1].

أما الأستاذ السامرائي المؤلف، فهو بعد أن يشير إلى خطأ شائع لدى الكثيرين من أن كل ما تنتجه العامة من فكر أو مادة هو من التراث الشعبى الجدير بالتسجيل والدراسة – وهو ما سوف يؤدى بالضرورة إلى إدخال أشياء كثيرة بعيدة كل البعد عن مجال التراث الشعبى أو الفولكلور، ينتقد المحاولات التى بذلت من أجل تحديد نطاق الأدب الشعبى، ويرى أنها كلها لا تعدو كونها تسجيلاً لا يتصف بالدقة أولاً، مما أدى إلى أن يضم للأدب الشعبى الكثير من الغريب عليه ثانياً.

ويصنف الأستاذ السامرائي المحاولات الكثيرة[2] التى بذلت لوضع تعريف للأدب الشعبى فى ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول:

أنه الأدب الذى يعبر عنه باللهجة العامية والذى يكون مجهول المؤلف، ويكون تناقله من جيل إلى جيل عن طريق الشفاه، ويأخذ

(1) مباحث في الأدب الشعبى لعامر رشيد السامرائي، المرجع السابق، ص 6.
(2) المرجع السابق، ص 9: 10.

المؤلف على هذا التعريف اشتراطه الجهل بالمؤلف، والانتقال الشفاهى كخصيصتين رئيسيتين من خصائص الأدب الشعبى، مؤكداً أن ذلك ربما كان صحيحاً فى الفترة التى سبقت الاهتمام به، والعناية بدراسته، كما أن هذا التعريف يسقط كل أدب عرف مؤلفه، كما يسقط كل أدب مطبوع بالإضافة إلى أنه أهمل الإشارة إلى المعنى والمحتوى وانصرف تحديده إلى الشكل فقط.

المحور الثانى:

أنه الأدب المعبر عن نفسية الشعب الهادف إلى خيره، وتقدمه سواء اتخذ اللهجة العامية أو الفصحى وسيلة للتعبير، عرف قائله، أو لم يعرف، دون أو لم يدون، ويعلق الأستاذ السامرائى بأن هذا التعريف يشد الأدب إلى بعض المعانى السياسية والنظريات التى تولى جماهير الشعب اهتماماً كثيراً وتدعى أنها جاءت لخدمتها، فالأدب الشعبى إذا أفصح عن تلك الأغراض، أو خدمها أو دعا إليها، ويرى أن فى هذا التعريف تعميقاً وإطلاقاً يتساوى فيه الأدب المثقف والبدائى والفصيح والشعبى، كما يهمل بحدوده تلك كمية من الأدب الشعبى المحلى الذى لا يتجاوز منطقة بعينها.

المحور الثالث:

أنه الأدب الذى يروى ويكتب أو يطبع باللهجة العامية، سواء عرف قائله، أو كان مجهولاً، متوارثاً عن الجيل السابق أو أنه من صنع قوم معاصرين، ويأخذ السامرانى على هذا الرأى اعتماده الأساسى على الشكل أو وسيلة التعبير، باعتبارها الصفة المميزة للأدب الشعبى عن

غيره، إذ يصبح الأدب الشعبى فى هذه الحالة هو كل ما اتخذ العامية وسيلة للتعبير.

وبعد أن يستعرض هذه المجموعة من التعريفات التى تمثل من وجهة نظره الاتجاهات الأساسية فى تعريف الأدب الشعبى وتحديد خصائصه، يتساءل عن سبب تسمية هذا النوع من الأدب بالأدب الشعبى، هل لمحتواه الشعبى، أم لأن أسلوبه عامى، ولماذا لم نسمه عامياً؟.

ويذكر أن بعض الكتاب القدامى كالجاحظ سموا نوعاً من الأدب بأدب العامة أو العوام، وهى تسمية توحى بالازدراء والاحتقار، ونظراً إلى أن هذه التسمية أخذت توحى باحتقار العامة وازدرائها، فقد أبدلت التسمية، فالأدب الشعبى هو أدب العوام من الناس، أدب العمال والفلاحين والفئات المغمورة اجتماعياً، ثم يستطرد قائلاً: "ونحن إذا نظرنا نظرة علمية مجردة إلى أحوال أولئك الناس لوجدنا أنهم يعيشون فى بؤس وعوز، ويقاسون من استعباد آخرين لهم، ثم إنهم محرومون من الثقافة، وينتهى من ذلك إلى القول بإن: "هذه الحقيقة تجعلنا نقول بثقة إن أدب هذه الفئة من الناس صورة ناطقة لبيئتهم وتفكيرهم، فالجهل المخيم عليهم، والانغلاق الذى سببته الفروق الاجتماعية يشجع نشوء اللهجات عندهم أولاً، كما أنه ينتج أدباً أساسه الجهل والانغلاق ثانياً، وبمعنى أوضح تلك الحقيقة تنتج أدباً يلجأ إلى اللهجة العامية فى تعبيره ويتسم بالسذاجة والضحالة فى أغلب وأعم معانيه، وعلى ذلك لسنا نستطيع القول بأن الأسلوب أو المعنى وحده

هو الذى يقرر صفة الأدب"[1].

فالأدب بمعناه العام عنده هو: "التعبير بأسلوب رفيع يراعى فيه انتقاء الألفاظ والتراكيب واختيارها، وأن هذا التعبير ينبغى تطبيقه على الأدب الشعبى أيضاً، ومن ثم فليس كل ما كتب أو قيل بوزن وقافية وبلهجة عامية يسمى أدباً شعبياً"[2]. وأن علينا أن نفرق بين الكلام العامى والأدب الشعبى، ويورد المؤلف مجموعة من النماذج العامية التى يثبت بها رأيه، ويذهب إلى أن هذه النماذج موزونة ومقفاة، ثم أنها بلهجة عامية، ولكنها لا يمكن أن تعد أدباً شعبياً، بل هى نماذج لكلام عامى مما يتكلمه عوام الناس[3]. قد نسميه فى شىء من التحفظ أدباً عامياً، ولكننا لا نسميه أدباً شعبياً، ويرى أن الفرق كبير جداً بين الأدبين، العامى والشعبى، فالأول يستعمل المعانى الشائعة والأفكار السطحية ونادراً ما يبتكر معنى جديد أو صورة جديدة، ثم إنه يستعمل اللهجة العامية بتراكيبها الشائعة، أى أنه حال من الصياغة الفنية، ولذا يكون أسلوباً رديئاً مبتذلاً، أما الثانى فإنه "على سذاجته" (والسذاجة غير الرداءة) لا يخلو من الأقباس الفنية والموهبة الحساسية، ويصاغ فى لهجة عامية، تختار له الألفاظ الموحية أو ذات الجرس الجميل أو المعنى الدقيق. وعلى ذلك فهو لا يدخل ضمن الأدب الشعبى ما ينتجه الأدباء المعروفون فى لهجة عامية، لأن من أهم صفات الأدب الشعبى، السذاجة والعفوية، أما ما ينتجه أولئك المثقفون فهو صناعة قد تكون ماهرة، وقد تكون رديئة،

(1) مباحث فى الأدب الشعبى لعامر رشيد السامرائي، المرجع السابق، ص 11.
(2) مباحث فى الأدب الشعبى لعامر رشيد السامرائي، المرجع السابق، ص 12.
(3) المرجع السابق، ص 13.

ولكنها تفتقر فى كل الأحوال إلى السذاجة والعفوية[1].

ثم يعود بعد ذلك كله ليتساءل: ما الأدب الشعبى إذن، ويجيب على ذلك بقوله: قد يكون من الصعوبة أن أقدم للقراء تعريفاً علمياً وضاحاً.

ولكن ذلك لا يمنعنى من القول بأنه: "التعبير عن انفعال عاطفى أو فكري يتخذ اللهجة العامية أسلوباً له في التعبير، تطغى على معانيه السذاجة التي يتميز بها ابن الشعب المحروم من الثقافة، ولكنها سذاجة لا تخلو من إرهاف الحس وبراءة وعفوية في إطلاق المشاعر والأحاسيس، وصدق يتجلى في استعمال الألفاظ والأساليب واختيارها، أما بالنسبة إلى كون الأدب مجهول المؤلف أو معروفه، مطبوعاً أو غير مطبوع، فإن مجهولية المؤلف كانت ميزة واضحة للأدب الشعبى قبل الانصراف إلى تدوينه وطبعه"[2].

أما الأستاذ أحمد صادق الجمال[3]، فهو يفرق بين كل من الأدب العامى والأدب الشعبى على أساس الاعتبار اللفظى أولاً، فنجد أن الأدب العامى قد استقى مادته من الفصحى المصحفة أو الملحونة ومن الألفاظ الدخيلة. بل ومن اللغة الجارية، إلا أنه قد ظهر فيها التجريد، وكذلك الأدب الشعبى الذى يتخذ مادته من الملحون والدخيل إلا أنها ألفاظ أسلوب الحديث الجارى، فإذا سمعتها لا تميزها عن لغة الكلام

(1) المرجع السابق، ص 14: 15.
(2) مباحث فى الأدب الشعبى لعامر رشيد السامرائي، المرجع السابق، ص 15:16.
(3) الأدب العامى فى العصر المملوكى لأحمد الصادق الجمال، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة 1966، ص 73.

التى يتناولها الأفراد فى حياتهم، وهكذا لا يختط الأدب الشعبى حدوداً معينة لألفاظه كى يلتزمها كما هو الحال فى الأدب العامى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فالأدب الشعبى يعتمد على المشافهة أكثر منه على التدوين، وفى الدراسة الفولكلورية يبحث الدارس عن العادات والتقاليد والآثار الجماعية التى ترتبط بالواقع المحسوس والتى تؤثر فيها الناحية الروحية والاجتماعية والسياسية، فنحن نبحث فيه عن الأمثال التى رددها الشعب، وحملت فى طياتها روح الشعب وطبيعته، وكذلك نبحث ما خلف الشعب من قصص اشترك فى صوغها وإخراجها، كما أخرج الرقص والغناء وغير ذلك، وينتهى من ذلك إلى القول بأننا فى حالة الأدب الشعبى "أمام أثر اشترك فى إعداده غير فرد، ومن ثم يصعب أن ننسبه إلى قائل أو مؤلف بعينه، أى أنه مجهول القائل أو المؤلف فى الأغلب الأعم، أما العامى فنحن نعرف قائله أو مؤلفه، بالإضافة إلى أنه يمكن القول إن الشعب برمته هو مصدر ذلك الأدب (الشعبى)"[1].

وقد رأى أن أسلوب الأدب العامى يتميز بالعناية بالسبك وتجويد النسج، أما أسلوب الأدب الشعبى فهو أسلوب الكلام الجارى فى حديث الناس، وأن ذلك يظهر واضحاً فى ما أثر من القصص والملاحم الشعبية، كما فى "ألف ليلة وليلة"، و"الهلالية"، و"الزير سالم" وغيرها.

هذا من ناحية اللغة والأسلوب، أما من ناحية تعبير كل منهما عن مبدعيه. فالأستاذ الجمال يرى أن الأدب الشعبى والأدب العامى كلاهما

(1) الأدب العامى فى العصر المملوكى لأحمد الصادق الجمال، المرجع السابق، ص 74.

يعبر عن نفسية المجتمع، أو بمعنى أقرب يعبران عن نفسية الطبقات المحكومة، كما يشتركان عنده فى أن "كلا منهما يمس الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها، فهما تعبير عن خلد القطاع الاجتماعى الغفير بما يعتريه من مؤثرات اجتماعية أو هزات سياسية أو طبقية وما إلى ذلك، مما ينتاب الشعوب من تغيير فى السلوك"[1].

أما المرحوم الأستاذ أحمد رشدى صالح[2] فيرى أن الأدب الشعبى هو "الأدب التقليدى أو أدب الفلاحين، والأدب الشعبى الحديث أو أدب جمهور المدينة والطبقة الوسطى، وأن "أداة هذا الأدب الشعبى التقليدى اللهجة العامية، أما الأدب الشعبى الحديث فقد تكون أداته العامية أو الفصحى، وأن عاموده هو الروح الوطنية التى لازمت ظهور الطبقة الوسطى.

ويميز المرحوم رشدى صالح[3] بين هذين الأدبين الشعبيين (التقليدى والحديث) على أساس "أن هناك عنصراً يميز الأدب الحديث على التقليدى، وذلك هو الفكرة الوطنية، وينبغى ألا نخلط بين الأمة أو القومية، بين أدب الأمة وأدب القومية".

ويذهب الأستاذ المرزوقى إلى أن بعض الناس يطلقون على الشعر الملحون اسم الأدب الشعبى أو الشعر الشعبى، وكلا الإطلاقين خطأ يجب تصحيحه، أما الأدب الشعبى عنده، فهو ذلك الأدب الذى استعار

(1) الأدب العامى فى العصر المملوكى لأحمد الصادق الجمال، المرجع السابق، ص 74: 75.
(2) المرجع السابق، ص 74.
(3) الأدب الشعبى لأحمد رشدى صالح، دار المعرفة، القاهرة، سنة 1954، ص 28.

obeikandl.com

له الشرقيون من أوروبا كلمة "فولكلور" على خلاف فى صحة إطلاق هذه الكلمة على ما نسميه بالأدب الشعبى بالضبط، وقد حاول بعض المؤلفين جعل تعريف الأدب الشعبى يشمل ما تشمله كلمة فولكلور، وأحسن تعريف لذلك ما ضبطه الدكتور حسين نصار بقوله الأدب الشعبى هو الأدب المجهول المؤلف العامى اللغة، المتوارث جيلاً بعد جيل بالرواية الشفوية.

ولا يخفى أن هذا التعريف يشتمل على أربعة شروط هى: جهلنا لمؤلفه، وعامية لغته، ومرور أجيال عدة عليها حتى يصبح من كيان الشعب، ووصوله إلينا بالرواية الشفوية. وبالنسبة إلينا نحن العرب يتمثل الأدب الشعبي عندنا في هذه الأغاني التي تردد في المواسم والأفراح والأتراح والمثل السائر وفي اللغز وفي هذه النداءات المسجوعة المنظومة على السلع وغيرها وفي النكتة والنادرة وفي الأساطير التي تقصها العجائز وفي القصة الطويلة كألف ليلة، وفي السيرة كسيرة بني هلال، وفي التمثيليات التقليدية – ولعل أقدم ما عرف من هذا الأدب الأراجيز المروية عن أجدادنا.

ويربط الأستاذ شوقي عبدالحكيم [1] بين الأدب الشعبي وبين أدب الفلاحين كما يتضح من كتابه الذي اتخذ هذا العنوان، وجمع فيه مجموعة من المواويل المصرية. أما الأستاذ الدكتور حسين نصار [2] فيعرف الأدب الشعبي بأنه "الأدب الذي يصدره الشعب، فيعبر عن

(1) أدب الفلاحين لشوقي عبدالحكيم، دار النشر المتحدة، القاهرة، سنة 1957م.
(2) الشعر الشعبي العربي للدكتور حسين نصار، المكتبة الثقافية، وزارة الثقافة، القاهرة، "المقدمة".

وجدانه، ويمثل فكره، ويعكس اتجاهاته، ومستوياته الحضارية".

ويمثل الأدب الشعبي عند الأستاذ إبراهيم الداقوقي[1] التراث القومي. وهو يفرق بين نوعين من الأدب الشعبي:

أولهما: الأدب الشعبي مجهول المؤلف.

ثانيهما: الأدب الشعبي معروف المؤلف.

وبناء على ذلك فهو يقسم دراسته إلى قسمين، يتناول في القسم الأول التراث الشعبي المشترك والذي تناقله الناس جيلاً بعد جيل والذي يعد ملكاً للشعب لأنه مجهول المؤلف ويتضمن الأساطير والقصص والأمثال والأغاني والألغاز والنوادر والبكائيات وغيرها.

أما القسم الثاني فهو الأدب الشعبي معروف المؤلف وقد أنشأه أدباء معروفون عاشوا في أوساط الشعب فتحسسوا آلامه وآماله وتناولوا المواضيع القريبة إلى نفوسهم وصاغوا منها ما يشبع رغبة تلك النفوس المادية والمعنوية حيث يتضمن فن السيرة والأدب الديني.

ولا يعترف قسم من الفولكلوريين بالأدب الشعبي معروف المؤلف إذ لا يعدونه من أدب الشعب وإنما هو من الأدب الرسمي أو الفصيح ولكن إذا أمعنا النظر في هذا النوع من الأدب فإننا نجد فيه نفس الخصائص الموجودة في القسم الأول من هذا الأدب فمنشؤه الشعب، عاش بين أحضانه وصاغ من المعتقدات التي أنتجها خيال الشعب وتفكيره في بيئته الواسعة أدباً جديداً يتجلى فيه روح الشعب وشخصيته

(1) فنون الأدب الشعبي، التركماني لإبراهيم الداقوقي، بغداد، سنة 1962، ص3.

obeikandl.com

الحية.

ويعرف الأدب الشعبي معروف المؤلف بأنه هو الأدب الذي أنشأه مؤلف معروف وهو منقسم إلى قسمين:

(1) الســـــير:

وهي لون من القصص الطويل الذي يتراوح بين النثر والشعر، نظمه شعراء معروفون في الأدب التركماني بـ (عاشق). لذلك يطلق عليه "عاشق أو بياتي" أي أدب العشاق، وهو يدور حول البطولات والفروسية والحب، ويشتمل على أشعار ملحمية. ولما كان منشئ هذا الفن يتغنى به بآلة موسيقية تركمانية تسمى "الساز" لذلك يطلق عليهم "شعراء الساز" أيضاً وقد تطور هذا النوع من الأدب الشعبي في المقاهي الشعبية في ليالي الشتاء وكذلك ليالي شهر رمضان المبارك.

(2) الأدب الديـــني:

وهو الأدب الخاص بالمذاهب الإسلامية، يستمد جذوره من روح الدين الإسلامي الحنيف، وقد أطلق عليه "أدب التكايا" حيث نشأ في زوايا التكايا التي تعد المحفل الأدبي والتوجيهي للمتصوفين[1].

ويصف الأستاذ عاتق بن غيث البلادي[2] الأدب الشعبي في مقدمة كتابة بقوله: "أما بعد" فإن الأدب الشعبي يحتوى على فنون جميلة بليغة ممتعة تشتمل على كل فنون الأدب الفصيح من شعر وقصة ومثل وأحجية...

---

(1) فنون الأدب الشعبي، التركماني لإبراهيم الداقوقي، المرجع السابق، ص38: 39.
(2) الأدب الشعبي في الحجاز لعاتق بن غيث البلادي، دار مكة للطباعة والنشر، سنة 1982م، ص3: 7.

الخ. ولا تختلف عن جذرها الفسيح إلا بلحن في الكلم يمكن تفصيحه إذا أردت، غير أن ألفاظها بلهجة أهلها أعذب، ومعانيها أبلغ وأصوب".

كما أنه "صنو الأدب العربي الفصيح فيه؛ ما فيه من خصائص وفنون، ومن بلاغة وحسن تعبير وإصابة المعنى، وله – شعره ونثره- عشاق متذوقون، من الخاصة والعامة".

وإذا استعرضنا الكتاب، سنجد أن ما يدخل تحت الأدب الشعبي عنده: الشعر بأقسامه، والقصة بأنواعها، والأمثال، والعادات والتقاليد وأسلوب التعبير الشعبي، والعلوم الشعبية واللهجات.

والأدب الشعبي موضوع تقليدي بارز من موضوعات التراث الشعبي عند الدكتور محمد الجوهري[1]. وإن ميدان دراسته يقع في مكان القلب من هذا العلم، ويذكر أن تسميات شتى قد شاعت لتشير إلى هذه الميدان، وأن هذه التسميات قد أثارت جدلاً شديداً بين الدارسين في العالم، فهو الأدب الشعبي عندنا، والأدب الشفاهي، أو الفن اللفظي، أو الأدب التعبيري عند بعض الباحثين، كما يشير الدكتور الجوهري أيضاً إلى تباين الاتجاهات في تعيين حدود الميدان، وتحديد موضوعاته، ويستعرض جهود كل من المرحوم أحمد رشدي صالح وريتشارد دورسون والدكتورة نبيلة إبراهيم، وينتهي إلى أن تصنيف المرحوم رشدي صالح[2] هو أوفاها وأكملها وأكثرها قرباً إلى الإحساس بالواقع الشعبي المصري.

---

(1) علم الفولكلور لمحمد الجوهري، ار المعارف، ط3، سنة 1982، ص3: 7.
(2) الأدب الشعبي وفنون الأدب الشعبي لأحمد رشدي صالح، مرجع سابق.

obeikandl.com

والأنـواع الأدبيـة الشـعبية الـتي يصـنفها رشـدي صـالح تحـت المصطلح الأعم "الأدب الشعبي" هي:

1. المثل.
2. اللغز.
3. النداء.
4. النادرة.
5. الحكاية.
6. السيرة.
7. التمثيلية التقليدية.
8. الأغنية.
9. الموال.

ويأخذ الدكتور الجوهري على هذا التصنيف عدم التفرقة بين ثلاثة أنواع متقاربة من مواد الإبداع الشعبي هى النكتة والنادرة والقصة الفكاهية، وأنه لم يتعرض لشكل من الأشكال الأدبية الشعبية العالمية هو الأسطورة.

ويناقش الدكتور الجوهري التصنيفات الأخرى، مبيناً أوجه القصور فيها، ليقدم تقسيماً مقترحاً لأهم الأنواع الأدبية الشعبية المصرية، ونوردها هنا، فهو يصلح أساساً للبناء عليه.

1) السير (الشعري منها والنثري).
2) الأسطورة.

obeikandl.com

3) الخرافة.

4) الحكاية.

5) الموال بأنواع المختلفة (كالموال العادي، والموال القصص..الخ)

6) الأغاني بأنواعها المختلفة:

أ) حسب المناسبات المرتبطة بدورة الحياة (أغاني الميلاد، والختان، والخطوبة، والزفاف، والزواج، والبكائيات)، والمناسبات الدينية (الموالد، ومولد النبي)، أغاني الحجيج (في الذهاب وفي العودة)، أغاني العمل (أغاني منتظمة الإيقاع، وغير منتظمة الإيقاع).

ب) حسب البيئات والجماعات البشرية المختلفة (كأغاني البدو: المجرودة والغنيوة، والشتيوة، ومجرودة العصا.. الخ).

7) المدائح الدينية والتخمير.

8) الابتهالات الدينية.

9) الرقى.

10)الأمثال.

11)التعابير والأقوال السائرة.

12)النداءات.

13)الالغاز.

14)النكت والنوادر والقصص الفكاهية.

15)الأعمال الدرامية.

obeikandl.com

أ) خيال الظل (صندوق الدنيا وخلافه).

ب) الأراجوز.

ج) التمثيليات.

د) مشاهدة الحواة ونظرائها.

أما الأستاذ الدكتور عبدالحميد يونس، وهو أول أستاذ للأدب الشعبي في جامعاتنا العربية، كما أنه على رأس من يرجع إليهم الفضل في إرساء دعائم دراسة المأثورات الشعبية (الفولكلور) عامة، والأدب الشعبي خاصة، فيذكر[1] أنه بعد استعرض البيئات الأكاديمية المتخصصة في الدراسات الإنسانية شرقاً وغرباً اتضح "أن الأدب الشعبي هو عند الكثيرين من العلماء يرادف الفولكلور أو – على أقل تقدير – يعد الحلقة الرئيسية من حلقات المأثورات الشعبية" (الفولكلور).

وينبه الأستاذ الدكتور عبدالحميد يونس إلى مجموعة من الحقائق البارزة في مجال دراسة الأدب الشعبي وتحديد مدلوله يهمنا منها ما ذكره من "أن الأدب الشعبي ليس بالضرورة أدب لهجات دارجة، وأن النسبة إلى الشعب هي الفيصل في التفريق بين ما هو شعبي وما هو غير شعبي، فإن من الآثار الفصيحة ما يمكن أن يكون شعبياً، وفي الآثار التي تتوسل باللهجات الدارجة ما لا يستطيع باحث أن يضعه في دائرة الأدب الشعبي[2].

(1) دفاع عن الفولكلور الدكتور عبدالحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1973م، ص103: 117.

(2) الظاهر بيبرس في القصص الشعبي الدكتور عبدالحميد يونس، دار الفكر، القاهرة، ص6: 7.

openkandil.com

كما يحدد جوهر الأدب الشعبي مفرقاً بينه وبين الأدب الفردي أو الرسمي أو المعتبر والأدب العامي، بأن الأدب الشعبي يتسم بالطابع الذاتي، ولكنها الذات العامة، ويصدر عن وجدان، ولكنه وجدان الشعب قبلياً كان أو طائفياً أو قومياً. أما مضمونه فنموذج أخلاقي قومي اصطلحت الجماعة عليه لكي تصعد إليه سائر الآحاد.

أما الأدب الرسمي فهو نشاط وجداني في إطار العبقرية الفردية، وهو لا يختلف عن العامي إلا في كون الأخير يتوسل باللهجة الدارجة، لكن كلا منهما يصدر عن وجدان فردي.

وعلى ذلك فإن معيار التمييز بين الأدب الشعبي وغير الشعبي هو المعيار النفسي عند الأستاذ الدكتور يونس، بالإضافة إلى الوظائف التي يؤديها هذا الأدب والتي يلخصها في هذه الوظائف:

1) وظيفة ثقافية.

2) وظيفة جماعية أو قومية تحافظ على تراث الجماعة ومزاياها وأمجادها وإحساس المجتمع بذاتيته العامة.

3) وظيفة نفعية تحافظ على الذات والمال... الخ.

4) تفسير الظواهر.

أما وسيلة هذا الأدب فهو في معظمه يتوسل بالشعر أو النثر أو بهما معاً (كما في السير الشعبية مثلاً)، كما أنه يتوسل بضروب التعبير الأخرى من الحركة والإيقاع والإشارة، بل إن فيه ظواهر تمثيلية أثمرت أنواعاً خاصة تقوم بالتمثيل المباشر كما هو الحال عند المنشد المحترف

(رواة السير الخاصة) وبالتمثيل غير المباشر الذي يتوسل بالدمية أو غير ذلك.

ويقدم الأستاذ الدكتور يونس تعريفاً للأدب الشعبي يجمع فيه بين الخصائص التي رآها مميزة له؛ سواء من ناحية الشكل والمضمون أو الوظائف أو المبدع أو أداة التعبير:

"الأدب الشعبي مصطلح جديد يدل على التعبير المتوسل بالكلمة وما يصاحبها من حركة وإشارة وإيقاع تحقيقاً لوجدان الجماعة في بيئة جغرافية معينة أو مرحلة محدودة من التاريخ، ويتسم بكل ما تتسم به المأثورات الشعبية من العراقة والتلقائية الظاهرة، وغلبة العرف، ووجود المضامين الثقافية إلى جانب المرونة في التطور، والجهل بمؤلف النص في معظم الأحيان".

هذه هي معظم الاتجاهات التي تمثل وجهات نظر الدارسين والجامعين للأدب الشعبي[1]

❖❖❖

(1) لمزيد من التفصيل:
راجع الأدب الشعبي وثقافة المجتمع للدكتور أحمد على مرسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص9: 25.

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع

1. الأدب الشعبى لأحمد رشى صالح، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
2. الأدب الشعبى وثقافة المجتمع للدكتور أحمد على مرسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
3. إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى، بيروت، دار صادر، 1886م.
4. أشكال التعبير فى الأدب الشعبى للدكتورة/ نبيلة إبراهيم، مطبعة العالم العربى، القاهرة.
5. أشهر الأمثال تأليف الشيخ طاهر الجزائرى، قرأه وكتب مقدمته وحواشيه، مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
6. أعلام الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس، لمحمد دياب الأقليدى، طبع فى مصر، سنة 1278هـ.
7. الأغنية الشعبية مدخل لدراستها للدكتور أحمد مرسى، دار المعارف بمصر، سنة 1983ك.
8. الأمالى تأليف أبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة بمصر، 1373هـ- 1953م.
9. الأمثال لأبى عكرمة الضبى، تحقيق الدكتور/رمان عبد التواب، دمشق، 1394ه- 1974م.
10. الأمثال لأبى فيد مؤرخ بن عمر السدوس، حققه وقدم له الدكتور/رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،

1391ه- 1971م.

11. الأنوار البدرية لمحمد على سرية.

12. البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، 1985م، مكتبة الخانجى بالقاهرة.

13. بين الفولكلور والثقافة الشعبية، فوزى العنتيل.

14. تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية الدكتور/عبد الحليم النجار، الطبعة الخامسة، دار المعارف.

15. التراث الشعبى، مجلة تصدر كل شهرين عن وزارة الثقافة والفنون، دار الجاحظ للنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، سنة 1979م.

16. التراث الشعبى، مجلة تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سنة 1986م.

17. تمثال الأمثال تأليف أبى المحاسن محمد بن على الشيبى، حققه وقدم له الدكتور/أسعد ذبيان، دار المبرة بيروت، الطبعة الأولى، 1402ه- 1982م.

18. جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى، ضبطه الدكتور/أحمد عبد السلام وخرج أحاديثه أبو هاجر، محمد بن سعيد بن بسيونى، الطبعة الأولى، 1408ه- 1988م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

19. جمهرة خطب العرب، تأليف أحمد زكى صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

20. الحكاية الشعبية للدكتور عبد الحميد يونس، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، سنة 1968م.

21. الحكم والأمثال عند المصريين القدماء، محرم كمال، مكتبة

الأسرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

22. الخرافة فى حياتنا للدكتور أحمد مرسى، كتاب الجمهورية، سنة 1999م.

23. الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة للأصبهانى، حققه وقدم له عبد المجيد قطامش، دار المعارف بمصر.

24. ديوان الخنساء، شرح وتقديم إسماعيل اليوسف، منشورات دار الكتاب العربى، دمشق، سوريا.

25. ديوان النابغة الذبيانى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعارف.

26. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الخامسة، دار المعارف.

27. ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح الدكتور/ محمد يوسف نجم، الطبعة الثانية، دار صادر للطباعة والنشر.

28. ديوان لبيد بن ربيعة العامرى، دار صادر بيروت.

29. الشعر الشعبى العربى للدكتور حسين نصار، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

30. الطفل فى التراث الشعبى للدكتور لطفى حسين سليم، مكتبة الدراسات الشعبية، سنة 2000م.

31. العصر الجاهلى، للدكتور شوقى ضيف، الطبعة الحادية عشرة، دار المعارف.

32. العقد الفريد تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى، شرحه وضبطه/أحمد أمين وآخرين، الطبعة الثانية، مطبعة التأليف

obeikandl.com

والترجمة والنشر، 1372ه- 1952م، القاهرة.
33. علم الفولكلور للدكتور محمد الجوهرى، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1980م.
34. العمدة لابن رشيق القيروانى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة، الطبعة الثانية.
35. الفاخر لأبى طالب المفضل بن سلمة، تحقيق عبد العليم الطحاوى، مراجعة محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
36. فجر الإسلام لأحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
37. فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد البكرى، حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة.
38. الفن ومذاهبه فى النثر العربى، للدكتور شوقى ضيف، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف.
39. فنون الأدب الشعبى، أحمد رشدى صالح، مكتبة الأسرة.
40. قاموس العادات والتعابير المصرية لأحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة سنة 1953م.
41. الكامل فى التاريخ لابن الأثير، المطبعة الأزهرية العامة، 1883م.
42. لسان العرب لابن منظور، دار المعارف.
43. مجانى الأدب للأب لويس شيخو، الطبعة اليسوعية، المكتبة الشرقية، بيروت.
44. مجمع الأمثال للميدانى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة

obeikandl.com

الثانية، 10407ه- 1987م، بيروت، لبنان.

45. مذاهب علم النفس لعلى زيعور، بيروت، دار الأندلس.

46. المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

47. المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى، الطبعة الثانية، 1408ه- 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

48. معجم البلدان لياقوت الحموى.

49. معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

50. المعمرون والوصايا لأبى حاتم السجستانى، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العلمية، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، سنة 1961م.

51. المفضليات للمفضل الضبى، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة السابعة، دار المعارف.

obeikandl.com

المحتويات

obeikandl.com

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	5
نشأة الأدب الشعبى وتطوره.....	9
الفرق بين الأدب الشعبى والأدب الرسمى.....	16
المقصود بالأدب الشعبى.....	19
موضوعات الأدب الشعبى وفنونه.....	29
أولاً – الأمثال.....	29
أمثال الشعراء الجاهليين وتصويرها لبيئاتهم.....	32
الظلم وصوره المختلفة.....	36
الوفاء والغدر وصورهما فى الحياة.....	40
التفاؤل والتشاؤم.....	64
الصبر وقوة التحمل.....	52
الجود والبخل.....	59
الرضا والقناعة.....	63
الحلم والحكمة.....	66
علاقة المرء بالأهل والأصدقاء.....	71
العزة وإباءة الضيم والذل.....	77
الشجاعة والجرأة.....	82
الصدق وحسن الظن.....	85
تصنيف أمثال الشعراء حسب دلالتها.....	88

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة

ثاً نيا: الألغاز والنكت والموال..... 102

ثالثاً : القصص..... 107

قصة معن بن زائدة الأعرابى..... 107

قصة الحجاج والفتية الثلاثة..... 110

قصة الأصمعى والمنصور..... 112

هارون الرشيد والفتاة البدوية..... 116

أبو دلامة الشاعر والسفاح..... 119

رابعاً: الحكايات الشعبية..... 120

حكاية الأخوة الثلاثة الأذكياء..... 120

حكاية كيف خدع الثعلب الدّب..... 127

حكاية المرأة الحمقاء..... 130

حكاية: الساحرة التى تجىء مع الزوبعة..... 134

العادات والتقاليد الشعبية..... 136

الأسطورة والأمثال الشعبية 146

معتقدات المرأة المصرية وتنشئة الطفل..... 161

ما يرتبط بالخضروات والفاكهة..... 162

ما ترتبط بالطبيعة والكون..... 163

ما يتصل بالحماية والوقاية..... 165

الفولكلور والمأثورات الشعبية..... 169

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
الأدب الشعبى فى كتابات الدارسين العرب.....	170
أهم: المصادر والمراجع.....	194
المحتويات.....	199

obeikandl.com